سلسلة دروس مديح القرآن (٤-٧)

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

(الدرس الرابع)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣٠ ربيع الأول ١٤٢٤هـ

الموافق: ٢٠٠٣/٥/٣١م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نُقلتْ من تسجيلٍ لهـــا في أشـــرطة (كاسيت) وقد أُلقيتْ ممزوجةً بمفرداتٍ وأساليبَ من اللهجة المحلية العامية.

وحرصًا منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

إعداد: يحـــيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

بالنسبة للشباب الذين لم يحضروا إلا الآن نحن ندرُس كتاب (مديح القرآن) للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام وهذا الكتاب مناسب أن يُنسخ ويخرج بأحسن مما هو عليه، يُكبَّر؛ لأجل أن يدرَّس في المراكز، وينتشر للناس، فهو مناسب جداً نشره في الفترة هذه بالذات، أي: الناس الآن أحوج ما يكونون إلى القرآن، في الزمن هذا بالذات نحن بحاجة إليه في المساجد، في المراكز، وينتشر في أوساط الناس.

كتاب هو من إمام كبير من أئمة أهل البيت، الزيدية متفقون عليه، هو مشهور عندهم جميعاً، وكتابته بالطريقة التي تكشف كيف رؤية أهل البيت، وتوجُّه أهل البيت الأصلي، قبل أن تأتي أشياء أخرى، هو يعطي ـ فعلاً ـ رؤية أهل البيت، هنا يتحدث عن أهمية القرآن، وعظمة القرآن، وحاجة الناس إلى القرآن، وهداية القرآن بشكل كبير.

الإمام القاسم هم يعتبرونه من أقدر أئمة أهل البيت، يعتبرونه كبير أهل البيت في قدرته، بل إن بعضهم يعتبرونه فيلسوف المسلمين، الإمام القاسم نفسه هو ممن كان يهتم بالقرآن، يهتم به اهتماماً كبيراً، وهذا واضح في كتاباته، أي: كمنهج تربوي؛ لهذا تجد الإمام الهادي عليه السلام نفسه ـ وهو حفيده ـ كيف كان اهتمامه بالقرآن.

نحن نقول: إنه حصل عندنا خلل في نظرتنا إلى القرآن الكريم، ولو أن الناس لا يزال عندهم إيمان بأهمية القرآن وعظمته، لكن حصل خلل كبير في النظرة إلى القرآن، وفي التعامل معه، وحصل خلل كبير، عوائق حدثت لدينا أعاقتنا عن الاهتداء به بالشكل المطلوب.

قد أخذنا فيه حوالي ثلاثة دروس، هو كتاب صغير لكنه عظيم جداً في فائدته.

قال عليه السلام: (كتاب نزله الله الرحيم الأعلى برحمته من فوق السموات العُلا، فأقر في أرضه قراره، وبث في عباده أنواره، فنوره ظاهر لا يخفى، وضياؤه زاهر لا يطفأ، مشرق نوره بالهدى يتلألأ كما قال سبحانه وتبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(التوبة:٣٢) فأبى الله سبحانه إلاّ تمامه فتم، وخاصم به من هُدي لرشده من خلقه فخصم) مثلما قلنا بالأمس حول هذه، بأن القرآن الكريم كما قال هنا: (وخاصم به من هُدي لرشده من خلقه فخصم) أن من يخاصم بالقرآن، أي: يحاجج آخرين بالقرآن فلا بُد أن يخصم، لكن إذا كان عنده معرفة بالقرآن، وعنده فهم للقرآن، فلا بُد أن يَغلِب.

طيِّب، هذه العبارة هي عبارة عامة، وهو الشيء الحقيقي بالنسبة للقرآن؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو نزّل القرآن والدنيا فيها ديانات، فيها فلسفات، فيها مذاهب متعددة، فيها ديانات متعددة، بعضها أصلها سماوي مثلما كان عند أهل الكتاب، وبعضها ديانات أخرى: ديانات البوذية، وديانات أخرى في الصين، ويوجد هناك فلسفة عند اليونانيين، وممتدة عند العرب.

طيِّب، عندما ينزّل الله القرآن هو قال فيه: إنه نزّله للناس جميعاً. طيِّب، هو فيما هو عليه هو بالتأكيد فيه الرد الوافي على أيِّ شيء من هذه التي كانت في الدنيا كلها؛ لأن الله جعله بالشكل الذي يثق به المسلمون أنه يمكن أن يحج أيَّ طرف آخر، أيَّ ثقافة أخرى، حتى ولو كانت ثقافة إلحادية، فلسفة كيفما كان شكلها، ديانة كيفما كان شكلها، أن القرآن بالشكل الذي يحجّها.

فإذا رأينا أنه ليس على منهجية الفلاسفة مثلاً، فلا يعني هذا بأنه ربما لم يلحظ الموضوع أن يكون فيه ما يُعتبَر رداً على ما يُعتبَر لديهم من فلسفات باطلة، فقد يكون القرآن من أصله يَعتبِر المنهجية بكلها التي يسيرون عليها خطأ؛ لهذا لم يأتِ على طريقة الفلاسفة، لم يأتِ وفق قواعد المنطق، المنهج الذي يسير عليه الفلاسفة في أبحاثهم أو في مناظراتهم.

والقرآن الكريم هو فعلاً كشف بأن أسلوبه هو الأسلوب الذي يصلح للإنسان، وأن الأسلوب الآخر كان أسلوباً قاصراً، القرآن الكريم تَقدَّم في الموضوع بطريقة تختلف عن طريقتهم، هم يقيمون الحوار والمناظرات على أساس مقدمات منطقية (حوار عقلي) يسمونه هكذا، أي: من العقل إلى العقل ـ على ما يتصورون ـ من العقل إلى العقل، ليس هناك لحْظ للموضوع الآخر: الجانب الوجداني لدى الإنسان، وهو جانب واسع جداً، وحتى في خلق قناعة لدى الإنسان، أو في خلق إيمان لدى الإنسان هذه الطريقة التي يسمونها منطقية لا تكفي نهائياً.

جاء الأسلوب في القرآن الكريم بطريقة أنه يأتي للإنسان من كل جهة، منطق بشكل مقنع، وترغيب، وترهيب، واستعطاف، بكل الوسائل؛ ولهذا نجح وانتشر الإسلام بشكل كبير في فترة قصيرة، مع أن الفلاسفة كانوا يغرقون مع بعضهم بعض، لا تلمس بأنها اتسعت فلسفة مُعيَّنة، متى ما اتسعت مثلاً أحياناً فلسفة مُعيَّنة فتكون على أساس أنها توافقت مع سياسة نظام مُعيَّن، حتى الآن في قراءة الفلسفة معظمها قراءة مقولات الفلاسفة: فلان قال كذا، وفلان قال كذا، حكايات، ليس هناك ما يمكن أن ينزل ويكون مقبولاً ويمشي، هذا يتفلسف، وذاك يتفلسف من هناك ونقض عليه ما عنده، وهكذا، بالطريقة هذه.

فالقرآن سلك طريقة أخرى، طريقة مقنعة، وطريقة تدفع بالإنسان إلى أن يستجيب من خلال هذه: أنه يأتي له من جميع الجهات، ولم يَسِر على أسلوب الفلاسفة أنفسهم: بحيث إنه يوجد طريقة منطقية أنك لا تحتج على الخصم إلاّ بشيء هو يستلزمه مثلاً، أو هو مؤمن به، أو يلزمه قبوله، ووفق القاعدة هذه.

القرآن الكريم يخاطب مشركين هم لا يزالون كافرين برسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكافرين بالقرآن، وكافرين باليوم الآخر، وبالجنة والنار، أليست هذه قضية معروفة؟ ومع هذا تجده يهددهم بالنار، يخوفهم بالنار، يرغبهم بالجنة، يخوفهم بما حصل للأمم الماضية، يذكّرهم بالنعم العظيمة عليهم.

طيِّب، على أساس الطريقة المنطقية أنه كيف أنك تأتي تخوفه بجهنم وهو لم يؤمن بالقرآن بعد، ولم يؤمن بالرسول، والإيمان بجهنم هو فرع على الإيمان بالقرآن والإيمان بالرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟! الله أعلم بالإنسان، هو الذي يعلم بالإنسان كيف يخاطبه، فتجد في السور المكية كثيراً من الوعد والوعيد، ووعد ووعيد يتحدث عن الآخرة، وعن يوم القيامة، يتحدث عن أهواله، يتحدث عن سوء الحساب، يَعرِض صوراً: كيف سيكون المشركون، كيف سيكون المجرمون، كيف سيكون الكافرون في ساحة الحشر كيف سيكون الخوف لديهم، وأبصارهم شاخصة، قلوبهم هواء.

بهذه الطريقة الواسعة جداً وهي عند الآخرين يقولون لك: (هذه ليست منطقية بكلها، إذ كيف يحتج عليه، أو كيف يستدل عليه، أو كيف يهدده بشيء وهو بعد لم يؤمن به؟!) فبهذا الأسلوب القرآن كشف أن الأسلوب الذي يستخدمه الفلاسفة أسلوب ناقص، أسلوب قاصر، تجد نفس الشيء مشى أسلوب الفلاسفة إلى المتكلمين من الأشاعرة، والمعتزلة، مشى نفس أسلوبهم: الحوار العقلي، الجدل العقلي، الأدلة العقلية، مناظرات عقلية، أي: كل واحد من رأسه إلى رأس الثاني هكذا، لم يلحظوا الأشياء الأخرى.

نفس الشيء فشلوا، بل ضاعوا هم (المعتزلة) انقرضوا هم، و(الأشاعرة) أولئك الذين كانوا أشاعرة بشكل متكلمين طغى عليهم التيار الآخر: تيار المحدثين (الحنابلة) وإذا بالمتكلمين سواءً كانوا أشاعرة، أو كانوا معتزلة من المسلمين ذابوا هم! هل استطاعوا أن يُدخِلوا أحداً إلى الإسلام؟ لا، بل "حَنِبُوا هم" طلع إشكاليات لديهم غرقوا هم فيها مع بعضهم بعض، وتفرقوا هم، واختلافات، وطلع شبه على حسب طرحهم هم وتقديمهم للدِّين ورؤاهم في موضوع الدين، طلع شبه كثيرة عليهم من (الملحدين والزنادقة) وإذا به بدل أن يُدخِل أناساً بطريقة عقلية أنهم ربما ليسوا مؤمنين بالله، وأنه لا بُد أن يخاطبهم خطاباً لا يكون له علاقة بهذه المنهجية القرآنية ـ "حَنِبُوا هم" قبل أن يُدخِلوا أحداً في الإسلام، وبقيت إشكالاتهم في بطون الكتب وقد انقرضوا.

ولم يحفظ للمعتزلة بقية من تراثهم إلاّ الزيدية، الزيدية عندما كان يوجد ارتياح لجانبهم؛ لأنهم يتحدثون عن جانب العدل والتوحيد، طغى أسلوبهم علينا، ضيعونا نحن، طغى أسلوبهم علينا وإذا بنا ضعنا.

(برهانه منير مضيئ، وتبيانه مسفر جلي، فهو من إسفاره وتبيانه، وهداه ونوره وبرهانه، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(النساء:١٧٤)) أليس يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾؟ خطاب للناس جميعاً؟ طيِّب، ضمن الناس هؤلاء من؟ كل من لديهم ثقافات أخرى، ديانات، أو فلسفات، أو كيفما كان شكلها، أليسوا ضمن هذا؟ لو قلنا إن القرآن الكريم هو نزل في المنطقة العربية، ويعالج إشكاليات عربية، وليس متجهاً لأولئك، وليس حول أولئك، لَمَا صح أن يقول إنه (للناس) و(يا أيها الناس) و(أرسلناك للناس رحمة) ويتحدث عن العالمين أنه (هدى للعالمين) أليس هكذا يتحدث؟ ولو افترضنا بأن ما فيه لا يمكن أن يكون أجوبة، وليس فقط أجوبة، بل بالشكل الذي يصلح أن يدعو الآخرين فينضووا تحت لوائه لقلنا هذا يُعتبَر تقصيراً كبيراً.

فكيف يكون القرآن فقط مركّزاً على العقلية العربية هذه، أمّا الآخرون الذين هم أكثر شُبهاً، منطقهم معقد،

منطقهم استدلالي، ليس لديه حل لإشكالياتهم؟! أليسوا أكثر خطورة على الإسلام هم؟ مثل قضية ملحدين مثلاً، فلاسفة، أشياء من هذه، أليسوا هم الذين يُعتبَرون خطيرين أكثر من العربي العادي، يُعتبَرون خطيرين؟ فلو قلنا بأن القرآن لم يلحظ من يُعتبَرون خطيرين على هذا الدِّين، أو يمكن أن يقدِّموا شُبهاً على هذا الدِّين، لم يلحظ موضوعهم لكان هذا يُعتبَر تقصيراً كبيراً، فبالتأكيد أنه لحظ كل شيء، هو دعوة للناس جميعاً، وإجابات شافية للناس جميعاً، وطريقة صحيحة تنقد كل الطرق التي كان عليها الناس جميعاً.

﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هنا كلمة ﴿بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا خطاب للكل على اختلاف دياناتهم وثقافاتهم، إذا قلنا فقط بأنه يأتي ببرهان للعربي، وليس حول الفلاسفة ـ مثلاً ـ وحول أصحاب الديانات الأخرى، وهم الذين هم أكثر شُبهاً على الدِّين، أليسوا أكثر شُبهاً على الدِّين؟ يعني هذا أنه ترك العدو الخطير، أليس معناه هكذا؟ ترك العدو الخطير، لم يعمل شيئاً يمكن أن يكون قوياً في مواجهته، ممكن أن يكون كاشفاً لبطلان ما لديه.

﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ كلمة ﴿بُرْهَانٌ﴾ أحياناً تأتي بعبارة مفردة، لا يقول برهان على كذا، وأحياناً لا يقول تبياناً ويجعلها مثلاً قضية خاصة، أليس يقول: تبياناً لكل شيء؟ هنا أيضاً برهان لكل شيء، برهان على كل شيء؛ لأن كل شيء لا يخرج عن كونه صحيحاً أو خطأ، عن كونه هدى أو ضلالاً، عن كونه حقاً أو باطلاً، لا يخرج شيء عن كونه هكذا، فالقرآن يُعتبَر برهاناً على كل ما هو صواب، وكل ما هو حق، وكل ما هو هدى بطريقة مباشرة، وبطريقة يهدي إلى قضية تهدي إلى ألف قضية في إطارها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(النساء:١٧٥) هذا واحد من أساليب القرآن الكريم، هو هنا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب للناس جميعاً، ثم يقول في أثناء خطابه للناس جميعاً: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ أليس هذا ترغيباً؟ ترغيب موجه للناس جميعاً حتى الذي لم يؤمن بعد، طيِّب، هذا من الناحية المنطقية على قواعد الفلاسفة، على قواعد المنطق، المقدمات المنطقية، يقول لك: (لا، أولاً تجعله يؤمن، ثم اذكر له الشيء الذي هو متفرع على إيمانه به) أليست الجنة والنار متفرعة على الإيمان بالرسول والقرآن؟ تجعله يؤمن بالله أولاً، ثم يؤمن بالرسول ثانياً، ثم يؤمن بالقرآن بعد إيمانه بالرسول، ثم بعد ذلك تحدِّثه عن الجنة والنار. هنا القرآن حدثهم من أول يوم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فمن اعتصم بنور كتاب الله وبرهانه، واتبع ما فيه من أموره وتبيانه، أدخله الله ـ كما قال سبحانه ـ مدخلاً كريماً، وهداه به ـ كما وعد ـ صراطا مستقيماً، ومن أبصر به واهتدى لم يعمَ بعده أبداً) مهم جداً أن تفهم هذه القضية. إذا كان كل واحد يريد أن يثقف نفسه حتى يكون قادراً على معرفة الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، وأشياء من هذه، فليس هناك ما يمكن أن يوصلك إلى الدرجة هذه إلاّ القرآن، عندما تكون بهذا الشكل تهتدي بالقرآن الكريم لا يمكن أن تعمى بعده أبداً؛ لأنه يأتي منطق باطل، تأتي أحداث باطلة، تأتي أشياء كثيرة تكون كلها بالشكل الذي يشهد لِمَا لديك.

نحن نقول: إن الباطل نفسه لا يستطيع أن يكون بالشكل الذي لا يُقدِّم شهادة للحق، الباطل رغماً عنه يحمل في طياته ما يُعتبَر شاهداً للحق؛ لأن أقل ما في الباطل أنه يفضح نفسه، أليس كذلك؟ هو يفضح نفسه، فكونه يفضح نفسه يدل على ماذا؟ يشهد لعظمة الحق، ويشهد في نفس الوقت هذا الباطل على بطلانه! لكن إذا لم يكن هناك اهتداء بالقرآن فممكن أن يتأثر الإنسان بشُبه، يمكن أن يتأثر بأشياء تغير نظراته، وتعطي مفاهيم خاطئة، مفاهيم معكوسة، ثم ينطلق عليها، بعضها قد تنطلق عليها كمقاييس وتكون خطأ يتفرع عليه خطأ، وترى النتائج التي تصل إليها اعتماداً على هذه القواعد الخطأ تطلع النتائج خطأ، وهكذا، وكلما توسع واحد توسع في الضلال.

(ومن أبصر به واهتدى لم يَعمَ بعده أبداً) وهنا يمكن بعد أن تهتدي بالقرآن تستطيع أن تنفتح على كل الثقافات، تقرأ أيَّ شيء، تسمع أيَّ شيء، تجلس مع أيِّ طرف كان، لن تكون أبداً بالشكل الذي يمكن أن يؤثر عليك أيُّ مقولات أخرى، لم يعد يمكن أن يؤثر عليك باطل أبداً، بل كلما ظهرت شُبه فإنما تكون هي بالشكل

الذي يزيدك أنت إيماناً ووعياً وبصيرة، وتعرف كيف ترد عليها.

إذاً فهذه هي القاعدة الأساسية، يعرف الإنسان كيف يهتدي بالقرآن، ويهتم جداً بالقرآن، ثم بعد لا يمكن أن يضل إلاّ من جهة نفسه هو هكذا: تمرد عناد، يسير وراء هواه. فهذا الشيطان ليس إلاّ واحداً من النوعية هذه، عاصي، ومتمرد: عاصياً ومتمرداً وهو يعرف أنه على باطل، ويعرف الحق، الشيطان يعرف الحق ولولا أنه يعرف الحق لَمَا استطاع أن يتحرك في مجال الإضلال، هو عارف للحق وعارف للباطل، عارف للهدى وعارف للضلال، يتحرك وهو يعرف كيف يضل الناس، ويعرف الضلال وإلاّ لَغلِطَ كثيراً، لو لم يكن عارفاً للضلال لَغلِطَ يُدخل الناس أحياناً في حق، يدعوك إلى حق من دون أن ينتبه إلاّ بعد أن يكون قد غلط، لكن هو عارف.

(ومن عَمِيَ عنه فلم يرَ هداه، وتورط من غيه ورداه) من عمي عن القرآن. طيِّب، هذه قاعدة لنا عندما نقول إننا نريد أن نتعلم، نريد أن نعرف، يريد الواحد أن يعرف حقاً وباطلاً، يريد الواحد أن يقرأ كل شيء، يريد أن يعرف كل شيء، يسير على الطريقة هذه، وستسير واثقاً من نفسك بثقتك بالقرآن؛ لأن القرآن هو نزل وهو واثق من نفسه، القرآن في الدنيا هذه واثق من نفسه؛ لأنه ليس هناك أيُّ ثقافة أخرى أو ديانة أخرى أو منطق آخر يمكنه أن يتغلب عليك أبداً، من ينطلقون بانطلاقته، من يتثقفون بثقافته، من يعرفون هُداه يكونون بهذا الشكل.

أيُّ ثقافات أخرى غير القرآن يقع الواحد في أخطاء كثيرة جداً، ويتيه الواحد، ثم يصبح في الأخير لم تعد لديه هوية مُعيَّنة، لا يدري من هو؟ مرة يكون معجباً بهذا، ومرة يكون معجباً بهذا، ومرة كذا، مضطرب، لا تستقيم له هوية مُعيَّنة أبداً، ولا عاد تستبين له طريق مُعيَّن، يبقى مرجوجاً تختلط عليه الأوراق فعلاً.

والقرآن هو بهذا الشكل يتثقف به المسلمون ثم ينطلقون على أساس هداه، بمنهجيته، برؤاه، بمفاهيمه، بطرحه، بكل ما فيه، وهنا هو بهذا الشكل الذي قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(الصف:٩) ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾(التوبة:٣٢) وليذهب بعد ذلك يناظر، يقرأ، يلتقي بيهود، يلتقي بنصارى، يلتقي بأيِّ شخص من أيِّ طائفة من طوائف المسلمين يلتقي، لكن لا بُد أن يعرف كيف هي منهجية القرآن أولاً في التعامل مع الآخرين.

لأن القرآن يطرح قاعدة: أنك لا تنطلق بروح جدلية هكذا، بل تنطلق بروح دعوة، إصلاح، حرص على هدى للطرف الآخر، لا تؤهل نفسك هنا على أساس أن تذهب لتناظر الناس مناظرة لمجرد المناظرة، وجدل لمجرد الجدل، لا، بل أسلوب دعوة، وتسلك طريقته هو، وتحمل نفس المشاعر التي يريد أن تحملها، يكون عندك حب شديد لهداية الناس، عندك حرص على هداية الناس.

عندما تناظر لاحظ القرآن الكريم كيف قدَّم المسألة، تكون بالشكل الذي الطرف الآخر لا يلمس أنك تجذبه إليك شخصياً، بل أنك تدعوه إلى الله، وطريقة إلى الله هكذا. وهذه قضية ظهرت في القرآن بشكل عجيب مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وطريقة من طرق أنبيائه سلكوها، وهذه هي الطريقة الناجحة.

لاحظ عندما أضاع المسلمون هذه الطريقة أصبح المعتزلي يناظر الأشعري، وأصبح الزيدي يناظر كذا، طوائف، وكل واحد مشتد هو يعرف أن اسمه الطائفة الفلانية، وهو عارف تلك الطائفة، وفي ثقافته قليل يعقده عليها، هو عارف أنك تريد أن تسحبه إليك ليصبح معتزلياً، أو يصبح شيعياً، وهو غير مستعد، كلما تقدَّم له من حوار فهو يحاول كيف يُجيب عليك، كيف يبطل كلامك، كيف يعمل أشياء تخلصه! وظلوا يتناظرون، يتناظرون حتى انتهوا، لا أحد جر هذا إليه، ولا أحد دخل في هذا المذهب، ولا أحد دخل في هذا المذهب! هذا أسلوب خاطئ، أسلوب خاطئ.

الأسلوب الذي ظهر من سيرة الأنبياء (صلوات الله عليهم) والأنبياء طريقتهم من أرقى الطرق في مجال الدعوة، الأنبياء طريقتهم من أجمل وأدق طرق الدعوة وأساليبها؛ لأنهم أشخاص اصطفاهم الله وأكملهم لهذه المهمة، تجدهم لا يقدِّم أحد منهم نفسَه هو شخصياً، بل يدعوهم إلى الله، إلى الله، إلى الله، وعندما يحاولون هم أن يفهموا القضية شخصية يقول: ليست القضية شخصية، من الأشياء التي تُعتبَر عجيبة في الموضوع عندما هددت الأمم الأنبياء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾(إبراهيم:١٣) الله يحكي في آية من الردود على هذه أنهم قالوا: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾(الأعراف:٨٩) إلا أن يشاء الله، العبارة هذه ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هو عارف أن ملته شرك، أليست ملته شركاً؟

طيّب، هذه ليست التي يسمونها (مرونة، أو روح تسامح) ليست قضية تسامح، أليس منطق الأنبياء يكون شديداً على الشرك؟ يهاجمون الشرك، يهاجمون المعتقدات الباطلة، لكنه في مهاجمته، في أسلوبه لا يحاول أن يُقدِّم نفسه وكأنه يشد إليه شخصياً، فيكون للآخر موقف منه، بل يقول: بالنسبة لِمَا أنت عليه أنت، إذا كنتَ تراني أهاجمه بشدة، فليس لي موقف شخصي منه، لو يشاء الله أن أعود إليه سأعود، لو يشاء الله أن أكون مثلك أعبد الصنم سأعبده! أليس هو هنا يترفع عن كون القضية شخصية؟

فهنا يوحون ويطبعون ذهنية المجتمع أنهم عبارة عن طريق إلى الله، ويدعونهم إلى الله، وحركة إلى الله، كلها بهذا الشكل؛ ولهذا نجح رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). عندما يأتي شخص يسلك الطريقة الأخرى: مناظرة، مناظرة شخصية، وخاصة عندما تكون أيضاً قاصرة بهذا الشكل: حوار منطقي بحت لا يتبنى أسلوب دعوة بنفس الطريقة التي سلكها القرآن الكريم، لا يتبنى في تقديم نفسه المشاعر التي قدَّمها القرآن الكريم أنك تتبناها عندما تكون محاوراً للآخرين، عندما تناظر الآخرين.

عند ما سلكوا الطريقة هذه فشلوا فعلاً، لا الشيعي تحول سنياً، ولا السني تحول شيعياً، لم تكن تأتي تحولات من هذه إلاّ بالقوة عن طريق السلطة فقط، كانت أحياناً تأتي عن طريق هذه، كان المصريون في أيام (الدولة الفاطمية) شيعة، عندما تزور الآن (القاهرة) ترى مسجد الإمام الحسين فيه مشهد على رأس الإمام الحسين في القاهرة تجد فيه كتابات كلها نصوص شيعية، قصيدة كلها، هم كانوا شيعة.

عندما جاء (صلاح الدين الأيوبي) هو الذي فرض عليهم هذا التسنن، وظلم الشيعة هناك وعاملهم معاملة قاسية، أمَّا عن طريق الأخذ والرد في أوساط المثقفين من الشيعة والسنة، في أوساط المتكلمين، المعتزلة، والأشاعرة، فلا أحد رد أحداً، تكون حالات نادرة جداً.

تجد القرآن الكريم في هذا الإطار ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(إبراهيم:١١) أليس القرآن يأتي بهذا المنطق؟ يقول: ما أنا إلاّ بشر ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يقول: أنا شخصياً لست إلاّ بشراً مثلك، لكن المسألة هي هكذا عليَّ وعليك، هي دعوة لي ولك، هي طريقة تُرسَم لي ولك، نسير عليها جميعاً إلى الله.

قضية (الله) هي ثابتة عند الناس جميعاً، الله سبحانه وتعالى معروف المعرفة الجُمْلية أنه هو إله، وخلق السموات والأرض، ورب السموات، هذه ثابتة عند البشر جميعاً، معروف لديهم كإله، بل كان الكثير من المجتمعات تعرف حتى الملائكة وليس فقط يعرفون أن هناك إلهاً هو الله الذي خلق السموات والأرض؛ ولهذا عرض في القرآن الكريم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾(الزخرف:٩) وهكذا.

﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ﴾ أليس هو يتحدث عن الله؟ ﴿يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ مَنّ علينا أن نكون رسلاً إليكم مبلغين لكم: ننذركم، نهديكم، ننصحكم، من أجلكم أنتم؛ لأن تحظوا بثواب الله، لأن تحظوا برضاه، لأن تحظوا بجنته، لئلا يعاقبكم الله، أليست هي هكذا كلها: شد إلى الله؟

هذه طريقة أساسية، طريقة أساسية في العمل، طريقة أساسية في المناظرة، في الدعوة في الحوار يجب أن تتبناها، لا يفرض الواحد نفسه عبارة عن مُناظر مجادل، تدخل في مناظرة فتكون المناظرة عبارة عن مباراة، من الذي سيغلب! المفروض ألاّ تحمل هذه الروحية أبداً، القضية ليست قضية: أريد أن أغلبك أو تغلبني، بل القضية هكذا: دعوة إلى الله، المسألة هكذا، يجب علينا أن نعمل كذا، لا بُد أن نعمل كذا، فإذا كان لديه شُبه مُعيَّنة ترد عليه في هذا الإطار، تفند شبهه في هذا الإطار، وتأتي بالتذكير، تأتي بنفس الأسلوب تستخدمه قضية الجنة النار، الوعيد الإلهي بالخذلان في الدنيا، الخزي في الدنيا، ومصائب في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، وهكذا، بهذه الطريقة، لا يُقدِّم الواحد نفسه كمناظر؛ لأنك تشد الطرف الآخر فيحصل هكذا كل واحد يشتد من عنده، ويرى بأنه ليس مستعداً أبداً أن يَظهر أنه ضعُف أمامك، أو انهزم أمامك، سيكابر ويعاند، وينكر، ويعمل كل طريقة؛ لأن معنى الموضوع أنه هُزِم أمامك.

إذاً لا بُد أن تُذيب شخصيتك نهائياً، تشده إلى الله، والموضوع إلى الله ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ﴾ هذا النبي بكله يقول له: نحن بشر مثلك يا أخي، فقط القضية كذا كذا...إلخ، أليسوا هكذا يجعلونهم يتجاوزون بذهنيتهم شخصه إلى الله؟ طيّب، الإنسان أساساً لا يحصل عنده حرج، الطرف الآخر لن يحصل عنده حرج معك

عندما يعرف أن القضية هي على هذا النحو، أي: ليس أنك تريد أن تقهره، تريد أن تفند ما يقول هكذا بطريقة تجبهه، تظهر ضعفه، تظهر بطلان كذا، بطريقة وكأنها مباراة، وكأنكم في حَلبة مصارعة! هذه الطريقة فاشلة، الطريقة الأولى هي الطريق التي يكون معها قريب أن يستجيب؛ لأنه عندما يستجيب يعني استجاب لله، استجاب لشيء من جهة الله، استجاب لطريقة تشده إلى الله، فيكون قريباً منك عندما تسلك الطريقة هذه.

هذه واحدة من الطرق المهمة التي أرشد إليها القرآن الكريم، أي: عندما نقول يتثقف الإنسان بثقافته، أي: تعرف بيناته، تعرف برهانه، تعرف ما يهدي إليه، في نفس الوقت تعرف الطريقة التي سلكها هو كمنهج في محاورة الآخرين، في مناظرة الآخرين، في دعوة الآخرين، تسير عليها، وإلا فأنت أول غالط أنت.

(ومن عَمِيَ عنه فلم يرَ هُداه، وتورط من غيه ورداه) تورط بسبب غيه ورداه (في بحور ذات لج من الجهالات) هذه واحدة من الأشياء الخطيرة، أحياناً قضية واحدة تخطئ فيها تفتحك على أبواب من الجهالات؛ لهذا قلنا: كل غلطة في الجانب الثقافي كل صغيرة هي كبيرة في الأخطاء الثقافية؛ لأنه ليس هناك حاجة تراها مثلاً وحدها، بل لها تداعيات حتى في قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧،٨) قلنا في هذه: إن الله لا يتحدث عن قضية "مقاصاة"[1] كما نسميها، بل لأن كل شيء له تداعيات، كل شيء يفتح على أشياء، فهذه الـ(ذرّة) قد توصلك إلى (جَمَل) توصلك إلى (جبل) هي ليست قضية ذرة وحدها، ولا يبقى الشيء وحده، وحده، بل يكون لكل شيء تداعيات.

طيِّب، بعض الأشياء تكون خطيرة، مثلاً تفتح على جهالات رهيبة، وإشكالات لا تُحَل، إشكالات تموت وما زالت في رأسك لو قد درست مائة سنة لا ترضى أن تُحَل؛ لهذا نقول: إنه ـ فعلاً وهي قضية مجربة ـ قد تذهب لتدرس عند شخص عمره مثلاً ثمانين سنة، قضّى حياته كلها دراسة، تدرُس في أشياء من هذه، وتمر بمشاكل، ويقول لك: "عز الله إنها مشكلة"![2] أليس يقول: "عز الله إنها مشكلة" بعد ثمانين سنة؟! بعد ثمانين سنة مشكلة معناه لن تُحَل، المشكلة لا تُحَل بمشكلة، إذا كانت مشكلة متفرعة من قاعدة باطلة فلن تُحَل أبداً إلاّ بفهم بطلان القاعدة التي هي متفرعة عنها، متى ما ضُرِبت هذه حُل الإشكال، ثم تُحَل إشكالات كثيرة، كل ما كانت متفرعة عن القاعدة المغلوطة ستراها في الأخير تُحَل كلها.

درسنا عند (شَيَبات)[3] وهو يقول لك: "عز الله إن هذه مشكلة"! وهكذا، طيِّب، لو كان ذكياً لفهم أنك لن تستطيع أبداً أن تحوِّل المشكلة إلى حل، المشكلة مشكلة، والباطل باطل، عندما يريد مثلاً أن يحاول أن يلفق له فإنه يأتي بمشكلة جديدة، عندما يريد أن يحاول أن يعمل له مبررات فإنه يأتي بإشكالات جديدة.

عندما قالوا مثلاً في الاختلاف جعلوا المسألة هكذا: أن الإنسان يتحرك هو، كل شخص وحده، ويرجِّح ويجتهد وينظر، وأشياء من هذه، ثم حصل اختلاف، الاختلاف مشكلة، أليس مشكلة؟ كيف نحاول أن نحل هذه المشكلة؟ نضفي عليها شرعية ونقول: يجوز الاختلاف! ألسنا مَن جعلناه يجوز؟ لكن ما أمكن (يجوز) ولو قلنا (يجوز) ما سبر (يجوز) نهائياً؛ لأننا دخلنا الآن في مشكلة كبيرة، لأننا متى ما قلنا يجوز فكلمة (يجوز) أي: يجوز من جهة الشرع، أليس معناها هكذا؟ فنكون قد أضفينا عليه شرعية، والشرع منسوب إلى مَن؟ منسوب إلى الله، طلع لك ماذا؟ أن الله يجوِّز الاختلاف في دينه! طلع الموضوع بالنسبة لنا مشكلة كبيرة، أنه هو الذي نهى عن الاختلاف والتفرق، وهو الذي يستطيع أن يرسم منهجاً لا يختلف الناس إذا ساروا عليه، فكيف يهدد ويتوعد المختلفين المتفرقين، ثم يجوِّز الاختلاف؟! ألم يظهَر تناقض؟ إذاً طلعت مشكلة كبيرة، ونحن نريد أن نجعلها تجوز! وهكذا، ليس هناك شيء باطل تريد أن تلفقه إلاّ وتدخل في إشكاليات أكبر منه، لا يمكن أن يتلفق نهائياً.

عندما يقول: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(آل عمران:١٠٥) أليس هذا وعيداً؟ هو عندما يقول: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ بالتأكيد أنه قادر على أن

---

(١) مُقَاصَّاة: من اللهجة العامية، وتعني: مُحَاسَبَة.

(٢) عَزَّ الله: تستخدم في اللهجة العامية بدلاً عن القَسَم وليست من ألفاظ القَسَم.

(٣) شَيَبات: من اللهجة العامية، وتعني هنا: علماء كبار في السن.

يرسم منهجاً لا يختلف الناس عليه أبداً إذا ساروا عليه، وهو قال هذا في القرآن، هو قال هذا، عندما تحدث عمَّن اختلفوا بعد الأنبياء أنهم إنما اختلفوا من جهة أنفسهم، بغياً، حسداً، وأشياء من هذه، دوافع أخرى، أي: ليس سببه قصوراً من جانب الله، تقصيراً في آيات الله، هو يقول: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾(الجاثية:١٧) ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(آل عمران:١٠٥) ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة:٢١٣) بينات على ماذا؟ هل معناها بينات ليختلفوا؟! فكيف تنهى وتتوعد المختلفين وتأتي تقدِّم لهم بينات تفرِّق بينهم؟! هذا لا يصح.

بينات معناها إذا ساروا، بينات على منهج، على طريقة إذا ساروا عليها لا يختلفون في الدِّين، لا يتفرقون في الدِّين نهائياً؛ لأن الدِّين أساساً نزل لحل الخلافات ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(البقرة:٢١٣) فما نختلف فيه نحن من شؤون الحياة هذه، في حركتنا في الحياة، وتعاملنا مع بعضنا بعض، جاء الدِّين ليحسم الخلاف هو، ليجعل الناس أمة واحدة، فكيف يمكن أن يبيح الاختلاف هو؟! وكيف يمكن أن يرسم هو طريقة للاختلاف، ويوجه الناس إلى طريقة تؤدي إلى الاختلاف؟!

ثم بعدما رأوا أنهم يخطئون: كل واحد يرى الثاني مخطئاً؛ لأنه حتى نفس المجتهدين كل واحد يرى الثاني مخطئاً رغماً عنه، هو يرى أن القضية التي رآها صحيحة أليس هكذا؟ فهو بالطبع يرى أن الطرف الثاني مخطئ، لكن قالوا: (إذاً، مادامت المسألة بهذا الشكل فكلنا مصيبون)! صُلْح، تتصالح أن نكون كلنا مصيبين! طيِّب، إذا تَصَالَح لك عشرة علماء هم في نفس الوقت يجيزون لكل واحد منهم أن يتحرك في الساحة وفق رؤيته، ويجوز للآخرين أن يقلدوه! هنا لم يحلوا الإشكالية بالنسبة للعامة، وهي الأمة، نسبة العلماء من الأمة تكون نسبة قليلة أقل ربما من واحد في المليون أو أقل.

طيِّب، إذا نحن تَصَالَحنا عشرة علماء أو عشرين عالِماً على أن (كل مجتهد مصيب) ونجلس فيما بيننا هكذا، لكن أليس كل واحد منا يشتغل على كيفه؟ أليس كل واحد يدعو على كيفه هو؟ أليس كل واحد يجيز لنفسه أن يلف معه مجاميع ممن يقلدونه؟ صارت الأمة متفرقة بشكل كبير بطريقتهم هذه عندما يقولون: إن كل مجتهد مصيب، سواء قالوا: مصيب للحق، وهم يريدون مصيب للحق الذين يقولون بهذه، والآخرون قالوا: لا، مصيب في عمله من حيث هو أمَّا فيما توصل إليه فقد يكون خطأ، هؤلاء الذين هم ـ مثلما تقول ـ محافظون.

عندما نقول: (مصيب) طلع نفس الشيء أن الدِّين يتفرق، ونجعل كل قضية في نفس الوقت نجعلها حقاً ونجعلها صواباً! هذا يعارض هذا، وهذا القول معارض لهذا، ونجعلها صواباً كلها! يطلع في الأخير لا شيء، يصبح الباري في الأخير ـ مثلما نقول ـ (يختم) فقط، مثل الذي يكون جالساً في مكتب أخرج أحدٌ ورقة من عنده فختمها له، وجاء الثاني وختم له! يختم فقط (إرادة الله تابعة لإرادة المجتهد) كما يقولون!

طيِّب، بالتأكيد يكون لها آثار سلبية في واقع الحياة، والدِّين هو جاء ليبني الحياة بشكل صحيح، يبني الأمة بشكل صحيح، قالوا: (مصيب) أو مهما قالوا فلا بُد أن يظهر الخطأ، الخطأ لا بُد أن تظهر آثاره، لو اتفقوا كلهم أنهم مصيبون هكذا وتصالحوا فيما بينهم، في الأخير تتباين رؤاهم، ولا تراهم يلتقون على موقف واحد. عندما تأتي قضية هذا يرى أنه لا بُد أن يتحرك الناس فيها، قال آخر: لا، وجاء آخر وطرح له رأياً فيها، وهكذا.

أليست الأمة ستضطرب عندما يضطرب من يوجهونها؟ أليس العلماء أساساً هم المعنيين بتوجيه الأمة؟ فإذا اختلف العلماء اختلف توجيههم للأمة، فتباينت مواقفها فضعفت، يطلع غلطة كبيرة جداً تتنافى مع منهجية القرآن التربوية للأمة، يربِّي الأمة على أساس أن تكون أمة واحدة، تنطلق في مواقفها بشكل سليم، أمة على جاهزية تامة.

لا تجلس تضطرب في ماذا تعمل، وتحاليل ماذا نعمل؟ ماذا نعمل؟ وهل يجوز أو لا يجوز؟! والعدو يغرقهم بالإشكاليات، مثلما الآن، هو ذا قد دخل أفغانستان وفلسطين والعراق وبلداناً أخرى يهددها، وما زال المحللون شغالين في ماذا يعمل الناس؟! ورؤى متباينة في ماذا يعملون؟ لم ترتسم طريقة بعد!

فتلاحظ أنه لا بُد أن يكون هدى الله بالشكل الذي يجعل الأمة على جاهزية تامة بحيث هي تُغرِق العدو هي، تُغرِقه ليس أن يُغرِقها بمشاكل، نجلس نتناقش حول مشكلة ماذا نعمل أمامها، وأخذ ورد! نختلف، تكون الأمة في وضعية بالشكل الذي إذا واجهها العدو يفرقها أكثر، تتفرق أكثر عندما تكون هكذا: يختلفون أمام أيِّ قضية

تأتي من جانب العدو، وجلسوا يأخذون ويردون، وطلّع لهم مشكلة ثانية وهم لم يتخلصوا من الأولى، واختبصوا في هذه، وطلّع مشكلة ثالثة وأغرقهم، حتى في الأخير يُحبَطوا ويستسلموا، أليس هذا حاصلاً؟ إنه لا بُد أن يكون هناك طريقة؛ لأن الناس هم عبيد لله، وهو مَلِكهم، وهو المدبر لشؤون عباده، لا بُد أن يكون لديه طريقة إذا ساروا عليها لا يحصل شيء من هذا على الإطلاق.

ومثلما قلنا أكثر من مرة: إن كل قضية هي تعود إلى الله، عندما نتحدث فيما بيننا وجوزنا شيئاً أو قلنا: (إنه ممكن) فافهم بأنك تنسب القضية إلى الله، ثم انظر: هل هي تليق بجلال الله؟ هل هي تتناسب مع حكمته، مع علمه، مع ملكه، مع ألوهيته، مع ربوبيته، مع رحمته، مع عدله...إلخ، أو أنها لا تتناسب؟ أيُّ قضية رُدها إلى الله؛ لأن كل شيء أقول فيه جائز، أو حتى تقول: مباح أنت ترده إلى الله، هل أباح هذا هو؟ هل أجاز هذا؟ على أساس كلامك أنه أباح هذا، وأجاز هذا، يطلع الباري متناقضاً في شرعه هو، وفي هديه هو.

عندما تفترض أن الأمة هذه فيما هي عليه أن الباري لم يعمل لها حلاً كان يمكن أن يقيها ألاّ تصل إلى ما وصلت إليه، هذا يمس بعدل الله أيضاً، يمس برحمته، يمس بملكه، يمس بحكمته، أي: أن الوضعية التي الأمة فيها الآن بالتأكيد أن هناك حلاً لها، إذاً الأمة هي انصرفت عنه، أو لم يقدِّم لها مع تعاقب الأجيال؛ لأنه لا يصح أن تجيز على الله أن يترك عباده هكذا، لا يمكن أبداً أن تجوِّز على الله أنه ترك الناس هكذا، وترك الدنيا هكذا ولم يقدِّم لهم أيَّ حل إذا ساروا عليه فلا يمكن أن يحصل هذا الذي هم فيه من المعاناة، من الذلة، من الضعة، من التمزق، والتفرق.

هذه قضية هل يمكن أن نجوِّزها على الباري؟ لأن الله يقول عنا بأننا عبيده، فنحن عندما يقول هو مَلِكنا ونحن عبيده، طيب، هو الذي يختص، والذي له، ومن حق الناس عليه أن يرسم لهم الطريقة باعتبارهم عبيده، يرسم لهم طريقة لا يُظلَمون، وهو يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:١٠٨) أليس هكذا يقول؟

يرسم طريقة؛ لأننا عبيده، وهو يتحدث بأنه رحمن رحيم، أليس رحمن رحيم هي تشير إلى رحمن بعبيده، رحيم بعبيده، حكيم في تصرفه مع عبيده، وتدبيره لشؤونه يقوم على أساس الحكمة، وهذه كلها أليست تصرفات مع خلقه؟ ومن أهم مخلوقاته في الدنيا هو الإنسان، من أعظم المخلوقات في الدنيا هو الإنسان الذي تُوجَّه إليه كثير من التدبيرات الإلهية، والتوجيه الإلهي، هو الإنسان نفسه.

فعندما تأتي تصنف الحالة التي الناس فيها ألست ستصنفهم بأنهم متفرقون؛ لأن آراءهم متشتتة متباينة، لأنهم ممزقون إلى شعوب، وطوائف، لأنهم، لأنهم؟ فكان هذا هو سبب ضعفهم، أليس كذلك؟ أبسط محلل سيخرج بهذه.

إذاً لا بُد أن تفترض أن هناك طريقة بعكس هذه تماماً، أي: أن الله رسم طريقة لا يختلفون، لا يتمزقون، لا يتحولون إلى طوائف، لا يكونون آراء متفرقة ومتباينة، طريقة تجعلهم على مستوى عالٍ من الجاهزية، لا بُد أن تفترض هذه، ترجع إلى القرآن الكريم تجد فعلاً أنها بالشكل هذا، أنه رسم الطريقة بهذا الشكل التي تجعل الأمة على هذا النحو: أمة واحدة، أمة قوية، أمة لا تُظلَم، لا تُقهَر نهائياً، أمة لا يُغرِقها العدو في مشاكل، هي نفسها تستطيع أن تحبطه من أول يوم.

لاحِظ الآن كيف وضعيتنا؟ ألسنا الآن كلما بدر شيء من جانب العدو اختلفنا عليه، فيزداد الناس ضعفاً كلما تقدم العدو إليهم. لاحِظ أمام شعار فقط نزل إلى الساحة ألم نختلف؟ البعض يقول: (لا) والبعض يقول: (بلى)! وهكذا، افترض أيَّ حاجة في وضعية الأمة هكذا ـ أيَّ قضية يطرحها العدو من جانبه ـ ستكون بالشكل الذي يتفرق الناس، من جهة أن هذا رأى هذا، وهذا لم يره، وليس هناك شيء يُعتبَر حسماً في الموضوع، ليس هناك لديهم قضية قائمة، كلنا مُعرِضون عن أن يكون هناك قضية قائمة تجعلنا بالشكل الذي يأتي شيء من جانب العدو نستطيع أن تلتقي كلمتنا عليه، ليس هناك تردد ولا اختلاف ولا اضطراب.

هنا يكون واجب كبير على الإنسان فيما يتعلق بتنزيه الله قضية مهمة أن يكون عملك بالشكل الذي يكون دائماً تجعل تنزيه الله مقياساً؛ لأنها هي الغاية الكبرى هي تنزيه الله، وتقديسه، والشهادة على كماله؛ ولهذا يتحدث في القرآن الكريم عن تسبيح كل الكائنات ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ قضية تنزيه الله

قضية مهمة، فإذا الإنسان مؤمن بقضية هي بالشكل الذي يمس بكمال الله، تؤدي إلى إلحاق نقص بجلال الله، وحكمته وقدسيته، فمعنى هذا أنك ارتكبتَ جريمة كبيرة جداً، ليست قضية بسيطة.

نحن قلنا في موضوع الدِّين أنه لا بُد أن يكون عملك في تقديم الدِّين بالشكل الذي يعرف الناس الدِّين، بحيث لا يرون عند الله تقصيراً، تكون معرفتهم للدِّين بالشكل الذي يدينون بشيء هو الذي يليق بجلال الله، يكون فيه تنزيه لله، وإلاَّ سيكون عند الناس هم ـ إذا ما قُدِّمت القضية بهذا الشكل ـ فهْمٌ أن يُحمِّلوا الباري المسؤولية هو، وهذه حاصلة عندنا، عندما تسمع حديثاً عن صراع الحق والباطل، وقوة أهل الباطل، وغلبة أهل الباطل وإمكانياتهم الهائلة يقولون: (هكذا حال الدنيا، الباري أراد أن تكون الدنيا هكذا)! إذا أحد يريد أن يتحرك وقال الحق، و...، يقول لك: (أهل الحق يكونون ضعافاً، أهل الحق لا ينجحون، والحق لا يستقيم في الدنيا هذه! وأن الباري جعل الدنيا على هذا الشكل)!

أليس معنى هذا أننا نحمِّل الباري المسؤولية؟ نحمله مسؤولية هذه الأشياء، هو الذي جعل الناس بشكل لا يرضون أن يقبلوا الحق! وهذا فهمٌ قائمٌ، هو الذي جعل الدنيا بهذا الشكل ليس فيها مكان للحق، إنما باطل باطل، لا يستقيم فيها إلاّ أهل الباطل، أمَّا أهل الحق فلا ينتصرون، أهل الحق ضعاف، أهل الحق لا يستقيم لهم شيء، هذه مقولات حاصلة!

طيِّب، فمعنى هذا أن الله هو الذي هيأ للباطل الساحة، هو الذي خلق الإنسان على وضعية: لا يقبل الحق أبداً! أليس معنى هذا أن الخلل جاء من عنده؟ طيِّب، هذه عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجدها قضية باطلة مِن أفظع القضايا في بطلانها.

إن الله يقدِّم ما لديه، وعود لأهل الحق لأن ينتصروا، وعود لمن ساروا على هديه، وعود للناس إذا ساروا على هديه كيف ستكون حياتهم، كيف ستكون سعادتهم في الدنيا، كيف ستكون سعادتهم في الآخرة، قدَّم الحق بالشكل الذي إذا سار الناس عليه لا يبقى للباطل مكان. الباطل أساساً ليس شيئاً مطبوعاً في الدنيا، هو يُعتبَر شاذاً، هو الشذوذ في الدنيا، الباطل هو الشذوذ أساساً ليس الشيء الأصلي فيها، المعصية هي الحالة الشاذة، الباطل هو الحالة الشاذة بالنسبة لفطرة الإنسان، بالنسبة لسنن الكون، بالنسبة للهداية الإلهية، الهداية الإلهية لا تقوم على أساس أنه لا بُد أن يطبع في الدنيا نصفاً باطلاً، يطبع لك: نصف باطل ونصف حق، نصف طاعة ونصف معصية، ويجعلك في الوسط ويقول لك في الاختيار: يا إمَّا تذهب مع الحق، أو تذهب مع الباطل.

ليست بهذا الشكل، بل خُلِق الإنسان، وخُلِقت الدنيا بالشكل الذي يُعتبَر الباطل فيها شاذاً، ليس هناك حاجة للباطل بكله نهائياً؛ ولهذا يتحدث عن الباطل بقوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(الإسراء:٨١) هو الحالة الشاذة، هو الذي لا مكان له في الواقع، لكن أنتم تجعلون له مكاناً في نفوسكم، وتطبعون الحياة به ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾(الروم:٤١).

إذاً فهذه المفاهيم الأخرى المعكوسة سمعناها أيام كنا نتحرك في حزب الحق (أهل الحق لا يستقيم لهم شيء، وأهل الحق يكونون ضعافاً، وأهل الحق لا ينتصرون، وأهل الحق...)!

هل أن الله طبع الدنيا بهذا الطابع، وطبع الإنسان بهذه الطبيعة، فهو جعل الإنسان بشكل لا يقبل الحق، وجعل الدنيا بشكل لا مكان فيها للحق؟! معنى هذا تطلع إشكالية كبيرة في هذه بالنسبة لله، أليس سيَطلَع سؤالاً كبيراً على الله سبحانه وتعالى؟ أنه كيف هذا: ترسم هدى وأنت رسمت أمامه عوائق كبيرة لا يمكن أن يتخطاها؟! فشلنا لا نستطيع على الإطلاق، وأنت رسمت في الحياة وقضيت وحكمت أن تكون على هذا النحو: لا مكان فيها للحق! فلماذا تتحدث معنا بالحق، وتقول: نقاتل من أجل الحق، وندعو للحق، وليس هناك مكان له؟! أليس هذا سيكون سؤالاً كبيراً على الباري؟ سيكون معنى هذا ماذا؟ أنه تصرُّف غير حكيم، تصرُّف ليس فيه أيُّ شيء من مظاهر الرحمة، ولا فيه أيُّ شيء، وحتى لو افترضت أن بعده جنة وناراً لا تكفي في كونه حكمة أبداً.

طيِّب، هم قدَّموا المسألة بالشكل هذا، إنما فقط فلسفوها فيما بعد قالوا: "سهل، قد الجنة هناك بعد هذه قد هو ثواب كبير، قد هو يغطي النقص ذاك فقد هو مصلحة للإنسان" لكن الباري هو يتحدث عن نفسه بأنه مَلِك، وهو مدبِّر، وهو حكيم، لا يمكن أن يعمل هذه القضية إنسان خلِّ عنك الله سبحانه وتعالى.

مثلما قلنا بالأمس هل يمكن أن يأتي أحد من الناس يصلح مبنى كبيراً ويملؤه موظفين، ويسلمهم قراطيس

وأقلاماً يشخبطوا، يسألهم أحد: ماذا تفعلون؟ قالوا: فقط نحن نعمل لأجل يعطونا معاشات! طيّب، من بعد المعاشات وهذا المبنى والأقلام والأوراق هل هناك غاية أخرى أو فقط هو جمعهم هنا لأجل يعطيهم معاشات؟ هل يمكن لشخص أن يعمل هذه؟! يأتي رئيس الوزراء يبني مبنى كبيراً ويملؤه موظفين ويعطي لكل واحد منهم في الشهر أربعين ألفاً، يقول لك: ماذا تعملون هنا؟ قالوا: نشخبط هكذا، ونجمع قراطيس في الدواليب! لأجل ماذا؟ قالوا: لأجل نحصل على مرتبات، والذي لا يعمل هكذا لن يحصل على شيء! طيّب، هنا ألست ستسأل ما هي الفائدة من هذا؟ ما المقصود من وراء هذا؟ هذا هو السؤال، ماذا وراء هذا، لا بُد أن هناك غاية.

لهذا الباري لم يجعل الجنة نفسها أو النار هي الغاية من وراء التشريع، من وراء الخلق، لا، بل هي في نفس الوقت من الآن وسيلة للإنسان أن يندفع في العمل؛ ولهذا يأتي بالحديث عن الجنة، بالحديث عن النار، أليس ليرغب ويرهب الناس هنا في الدنيا لينطلقوا في العمل هنا في الدنيا؟ فهي وسيلة، طيّب، يوجد غاية أخرى، يوجد غاية كبيرة جداً، الغاية تتمثل في استقامة الحياة على هدي الله، وتنتهي القضية كلها عندما يستقيم الإنسان على هدي الله، يتجلّى بشكل رهيب وبشكل دقيق جداً حكمة الله، ورحمته، وحسن تدبيره، وقدرته، يتجلّى كماله، من خلال هذا يتجلّى كمال الله سبحانه وتعالى.

لكن تركنا هذه وقلنا: "ما شي، هو الذي طبع الدنيا بهذا الطابع، والدنيا هي هكذا، هي دار امتحان وابتلاء، وأهل الباطل يكونون فيها هم المسيطرين، وما هناك مكان فيها إلا للباطل"![1]

لا يصح هذا على الله أبداً، هو في القرآن الكريم يقول: لا ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ هم الذين طبعوها بالفساد، هو خلقها عندما تأتي تتأمل خلقها تجدها وكأنها كنز، وكأنها درة ثمينة بكلها، وأودع فيها كل ما هو يُعتبَر ميداناً واسعاً للإنسان أن يرتقي إلى أرقى العلوم، في مجالات الصناعة، وغيرها، أليست كلها هنا في حركة الدنيا وأجوائها؟ وجودها بهذا الشكل، هي تُعتبَر درة ثمينة غالية لها قيمتها عند الله، غير صحيح عندما يقول لك: (لا تساوي عند الله جناح بعوضة). لها قيمتها عند الله؛ لأن من شأن الحكيم أن يكون لكل شيء قيمته ليس باعتبار حاجته إليه، بل لكونه في نفسه ذا قيمة.

(...)

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾(هود:١٢٣) كل شيء هو في الأخير ينتهي إلى الله، وكل شيء يوصلك إلى بين يدي الله، أي: أنت تسير على ما يوصلك إلى بين يديه، يا إمَّا لسعادة أو لشقاء.

إلى أن قال: (وتورط من غيه ورداه، في بحور ذات لج من الجهالات) لجج مثل طبقات البحر (وتخبط في غور لجج من الضلالات، لا يخرج من تورط فيها مِن ضيق غورها، ولا ينجو غريق بحورها، من نار تبوبها، وحيرات سهوبها) التباب: الهلاك، والسهوب: الفلوات، أي: الصحاري، قفار واسعة من الضلال تتيه فيها.

(فلا صريخ له فيها ينقذه من تبٍّ، ولا هاد يهديه منها في سهب، فهو في لج بحورها في تبوب) في هلاك، خسارة (ومن ضلالات غورها في سهوب) ضلالات واسعة (متحيِّر بين هلكة وثبور، وضلال حيرة في ظلمة وبحور) كل مرة يكتشف أنه خاسر، كل مرة يكتشف أن طريقته غلط، كل مرة يكتشف أن الطريق التي يتصور أنها قد استقامت هي خسارة عليه، وهكذا.

(موصولٌ ضلاله وعماه، بما هو فيه من عاجلته ودنياه، بعمى من الآخرة لا يبيد) يقول لك: الضلال، العمى هو موصول من الدنيا إلى الآخرة، له آثاره السيئة في الدنيا وفي الآخرة. (بل له فيها البقاء أبداً والتخليد، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(الإسراء:٧٢)).

نحن نفترض العكس، نقول: (نحن في هذه الدنيا، وهذه الدنيا كذا كذا كذا) هي حالة عمى نحن فيها (وهي أيام يقضيها الواحد، ويحافظ الواحد على دينه)! أيضاً يقول هكذا: (يحافظ الواحد على دينه)! ماذا بقي له من دين؟! (وما هذه الدنيا إلاّ أيام، وفي الآخرة يَقدُم الواحد على الباري ويدخله الجنة)! الله يقول لك هنا: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ لأن عماك هنا في الدنيا هو عمى عن الطريق التي توصلك إلى الجنة، العمى هنا في الدنيا هو عمى عن طريق الخير.

---

(١) ما شي: من اللهجة العامية، وتعني هنا: لا.

وهذه حالة خطيرة أيضاً، هذه آية يجب أن ينتبه لها الناس جميعاً، هي تشبه الآية الأخرى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٣،١٢٤) فهو هنا يربط ما بين العمى والشقاء في الدنيا، والعمى والشقاء في الآخرة، كيف تفترض حالتين متباينتين، تفترض حالة العمى هنا هي طريق النجاة في الآخرة؟! هذا ليس صحيحاً، حالة العمى في الدنيا ليست طريق نجاة في الآخرة ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ العمى هنا عمى عن ماذا؟ عمى عن السير على هدي الله سبحانه وتعالى، يصبح في واقع حياته متخبطاً، أعمى لا يبصر شيئاً ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

انظروا هل نحن في عمى أو نحن مبصرون؟ لا يقاس العمى والبصر بكبر العيون وصغرها في هذا الموضوع، بل بالمقياس القرآني، هل نحن في مفاهيمنا، في رؤيتنا للحياة، في رؤيتنا للإنسان، في رؤيتنا للدِّين، في رؤيتنا لكل حركة الحياة، في مواقفنا هل نحن وفق القرآن الكريم؟ لأنه هو النور، أليس النور؟ هو البصائر، إذا لم يكن الناس وفق القرآن الكريم فهم في عمى، فإذا كانوا في عمى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ لكن لا.

الآن تجد المفهوم السائد (الدنيا هذه قد التطمت ولم يعد يدري الناس كيف يعملون، ونحن هكذا...)[1] وعمى (لكن هي أيام، أفضل للواحد إذا قد مشّى حاله كيفما جاء ويصبر، ويحاول الواحد أن يكون من أولياء الله، ويدخل الجنة)![2] نحن نفترض بعد العمى هنا في الدنيا والتخبط والحيرة أن نكون مبصرين يوم القيامة!

(فمن لم يستدل على أمر دنياه وآخرته بكتاب الله) يستدل: يجعله دليله، يجعله هاديه؛ لينير له الطريق؛ لأن القرآن يرسم الطريق، وينيرها، ويرغبك لأن تسير فيها، وفي نفس الوقت يدافع عنك وأنت تسير فيها. ليس فقط مثلما يسير الواحد ومعه (اتريك)[3] أو (كشاف) لا يرسم له الطريق، ولا يوجد أكثر من كونه معه كشاف يبصر به الطريق، أمّا القرآن فهو يرسم هو الطريقة، ويُبيِّن الطرق الأخرى كيف أنها طرق خسارة، هادٍ بكل ما تعنيه الكلمة.

(فمن لم يستدل على أمر دنياه وآخرته بكتاب الله فلن يصيب عليه أبداً دليلاً) لن يصيب على أمر دنياه وآخرته أيَّ دليل غيره يهتدي به. (ومن لم ينج به من خبوت الحيرة والجهالة) الخُبُوت، أي: الخبت، المتاهات، الصحاري، خبت مثلما نقول، الكلمة هذه معروفة عندنا. (ويحيا بروحه من موت العمى والضلالة، لم يزل لسبيل الجهل سالكاً) ولو عنده أنه علاَّمة، ولو قال له الناس علاَّمة، ولو كانت كُتبُه كم ما كانت ومؤلفاته كم ما كانت، هنا يقطع بأنه (لم يزل لسبيل الجهل سالكاً، وبموت العمى والضلال هالكاً؛ لأن الله جعله روحاً من موت الضلالة محيياً، وضياءً من ظلم الجهالة منيراً مصحياً).

المشكلة أننا نقول: القرآن صحيح هو هكذا، أليس الناس مؤمنين بهذا؟ ويكون عندهم عندما يأتي يفسر القرآن يقول لك: هذه الآية نتركها محلها، وهذه معناها كذا، وهذه معناها كذا! أليس هو هنا يرى أنه يتعامل مع القرآن؟ لكن المشكلة أن معه غلطة من البداية في النظر إلى القرآن، في النظر إلى التعامل مع القرآن، إلى الاهتداء بالقرآن الكريم كيف يكون.

يأتي يحكِّم أشياء أخرى، مقاييس من عنده، يرسم هو رؤى مُعيَّنة، الناس يأتون ليرسموا رؤى مُعيَّنة تحت عنوان خدمة دين، تحت عنوان بأنها أيضاً من علوم الدِّين، وانطلقنا إلى القرآن ننظر إليه من خلالها فلم نبصر، ثم نقدِّم موضوع القرآن عمى على عمى بالنسبة للناس! يتخبط الإنسان حتى ولو عنده أنه يسير على طريقة هدى، ولو عنده أنه يخدم القرآن نفسه، يقراها يقرأ يقرأ؛ لأجل أن يعرف كيف يتعامل مع القرآن.

القرآن نفسه مرتبط بهداة، والقرآن نفسه يرسم الطريقة في التعامل معه، حتى لم يترك هذا الموضوع؛ لأنه هو المفتاح، حتى طريقة التعامل معه، طريقة الاهتداء به، الأسس التي تسير عليها لتهتدي به، العلاقة التي

---

(١) التطمتْ: تعني: اضطربتْ.

(٢) مَشَّى حَالَه: من اللهجة العامية، وتعني: لم يصطدم أو يواجه التحديات بمسؤولية.

(٣) اتْرِيك: مصباح قديم يضيئ بالغاز.

تبتعد عنها لتهتدي به، رسمها أيضاً، أليس هذا هو المفتاح للموضوع بالنسبة للقرآن؟ أي: حتى نفس المفتاح هذا هو هدى إليه، هو هدى إليه.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: إذاً ما جدوى ما يسمى بعلوم الآلة؟ فقال السيد حسين رضوان الله عليه:]

(علوم الآلة) منها ما هو بشكل مقلوب يَضرِب القرآن، ومنها ما هو ناقص عن الموضوع المهم في القرآن، من أجل القرآن، مثل اللغة العربية، نحن أساساً لا نقرأ لغة عربية، عندما تأتي تقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان فأنت لا تقرأ لغة عربية، بل أنت تقرأ قواعد.

المطلوب أن تتعرف على اللغة نفسها، وأن تمارس قراءتها، والاطلاع على نصوصها من شعر ونثر حتى تعرف أنت تلقائياً أساليبها، أساليب العرب في خطابهم، وأساليب العرب في التعبير عن كل قضاياهم؛ لأن الشعر العربي يشتمل على قضايا العرب أنفسهم، لا توجد قضية ربما إلاّ وفيها شعر، كل قضاياهم، كل تفكيرهم، كل نظراتهم، هو داخله أساليب العرب في التخاطب، داخله الأساليب اللغوية نفسها، كذلك النثر.

القرآن أيضاً في هذا الموضوع يُعتبَر من أهم مراجع اللغة العربية، بل فيه ما يَضرِب بعض قواعد النحاة أنفسهم، ما يضرب بعض قواعد النحويين؛ لأن النحوي لا يجلس نحوياً يلتزم بعمل استقراء: أنه لماذا نصبوا هذه؟ ولماذا رفعوا هذه؟ في كونه فاعلاً أو مفعولاً أو أشياء من هذه، لكن تراه أيضاً يتطرق إلى المعاني، يتحدث عن المعاني.

لاحِظ مثلاً موضوع (الاختصاص) نصبَه على الاختصاص، والاختصاص يعني خصه بأهمية بخصوصه، مثل من يأتي ينصب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾(النساء:١٦٢) ألم يتحدث هنا بالرفع في بدايتها؟ في موضوع يؤمنون بالله، الإيمان بالله مرفوع، وصل عند ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصبها، قالوا: (هو نصبها على الاختصاص) أي: وأخص المقيمين الصلاة بالمزيد من المدح، ليس معقولاً أن يكون مقيمي الصلاة محط اختصاص بعد الإيمان بالله، الإيمان بالله هو أرقى، أي: هذا المكان ليس مكان اختصاص نهائياً. عندما تلاحظ أنه ليس النصب هنا لكونه وأخصُّ، العطف هو العطف، لكن المفردة هنا في الاستعمال العربي ثقيلة جداً (والمقيمون الصلاة) فأين ما وردت في القرآن ـ ربما في موضعين أو في ثلاثة ـ لا تجدها إلاّ منصوبة، ليس من أجل الاختصاص، العطف هو العطف لكن المفردة هذه والصيغة هذه تجد لا يوجد معها في القرآن مثلها، ما كان من هذا النحو فيُعتبَر ثقيلاً (والمقيمون الصلاة) الميم تؤدي إلى ضم الشفتين بإشباع، بعدها كسره مشبعة، أليست انتقالاً من حالة إلى حالة مضادة تماماً، ثم الانتقال إلى حالة مضادة تماماً؟ (مقيمون) لا توجد هذه.

لاحِظ كيف عبارة مسلمون ثقيلة؟ أليست مسلمون ثقيلة؟ ثقيلة، إلاّ أنها فقط أخف من هذه لأنه لا يوجد فيها إشباع حركات. الميم هنا مع الضمة ثقيلة، الميم مخرجها من الشفتين، الموقف متضاد تماماً أن يكون بعدها حرف مكسور بإشباع بعده ياء، أليست هذه حالة مضادة؟ تنتقل أيضاً إلى ميم مضمومة، هذه حالة مضادة، هذه ليست موجودة، الاستخدام هذا نادر في اللغة العربية، أو يكاد لا يوجد، لكن أن يكون حرف آخر (تاء) تقيمون، أليست سهلة؟ تقيمون، يقيمون سهلة، هنا والمقيمين الصلاة بدل والمقيمون الصلاة، التعامل مع المفردة هذه على هذا النحو.

طيِّب، هنا يأتي يحاول أن يفلسفها للاختصاص، أي: وأخص المقيمين الصلاة. لا يصح أن تقول: أخص المقيمين الصلاة بعد قوله يؤمنون بالله، الإيمان بالله هو الدرجة العالية، هنا تجده ينصبها وحدها.

طيِّب، في آية أخرى عندما تحدث في سورة (الصافات) عندما قال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(الصافات:٣٧-٤٣) فهنا عباد الله منصوبة؟ هل هذا استثناء؟ مشكلة هذه، اختصاص، استثناء! هذه لها قيمة فنية، تصوير، مثلاً بالنسبة لهؤلاء الناس الضالين الذين وعدوا بهذا العذاب الأليم، يصور موقفهم ـ وربما قد يكون موقفاً حقيقياً في القيامة ـ أنهم يُخاطَبون ويرون أنفسهم أنهم في حسرة شديدة عندما ينتقى من بينهم ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فيتصورون أنفسهم مجموعين ثم ينتقى من بينهم الناس المخلَصون الذين يذهبون إلى الجنة وينجون، هذه فيها حسرة شديدة.

لاحظ إذا كان هناك سجناء مثلاً في (عنبر) واحد[١] وجاؤوا يُخرجون من بينهم خمسة أو ستة، أليست ستكون شديدة على الآخرين؟ تكون ثقيلة عليهم، فهو يتحدث عن موقف من هذا القبيل، عن مقام من هذا النوع، عندما يطلقون مثلاً أشخاصاً من (عنبر) آخر ليسوا من الذين هم عندك فلا تكون ثقيلة عليك، لا تكون ثقيلة.

(...)

فعندما يقول: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ما أمكن أن يكون استثناء على قواعد النحو، ولا أمكن أن يكون اختصاصاً (لكن أخص) لأن الاختصاص يكون في السياق الواحد، ولا أمكن أن تقدِّر له (لكن) لأن المقام الذي تقدِّر فيه (لكن) يأتي مرفوعاً، هنا يصور موقفاً، ويصور حالة لديهم من الآن، عندما يكونون في حالة من التحسر شديدة، عباد الله المخلَصون ينجون من بينهم فتكون حسرة شديدة عليهم.

فالقرآن نفسه هو من أهم المراجع اللغوية، من أهم مراجع اللغة العربية، تجد أحياناً في بعض المفردات تأتي تبحث في (القاموس) تبحث في (لسان العرب) تبحث في مراجع لا تجد الكلام الذي ترى أنه فعلاً ممكن أن تقول أنه هو المعنى لهذه المفردة إلاَّ بما يعطيها القرآن هو من معنى لها، ولو معنى إجمالياً تفهم من خلالها.

فالقرآن هو مرجع من أهم مراجع اللغة، لا بُد من اهتمام باللغة نفسها؛ لأنه ممكن أن أقرأ (معاني وبيان) قواعد المعاني والبيان هي حول فصاحة وبلاغة، يتحدث عن أساليب، لكن لا تعايش نفس اللغة، ممكن أن تقرأها ولا تطلع بليغاً، بل يمكن أن تقرأها ولا تستطيع أن تقيِّم نصاً مُعيَّناً أو تحلله إذا لم يكن هناك معايشة للنص اللغوي نفسه. أقرأ قواعد النحو أعرف كيف اللغة فيما يتعلق بالنطق بالحركات، هذا منصوب، وهذا مرفوع...إلخ، فيما يتعلق بآخر الكلمة: إعراب وبناء، وعلامات الإعراب فيها سواء كان بشكل حركات، أو بشكل حروف.

فاللغة العربية على هذا النحو ضرورية جداً، بل ضروري جداً أن يحاول الناس من خلال قراءة الشعر، ومن خلال قراءة النثر، والنثر الذي يكون بليغاً، لا تقرأ لناس ليسوا بلغاء، إذا أحد قرأ لأشخاص ليسوا بلغاء وكتّاب ليسوا بلغاء فإنه يتأثر بأسلوبهم، عندما تقرأ نصوصاً بليغة للعرب يتحدثون في نفس الفترة التي لم يكن قد حصل فيها خلل في استخدام الناس للغة العربية فهذا يُعين على فهم القرآن الكريم؛ ولهذا فعلاً تجد أن اللغة العربية محارَبة جداً من اليهود، حتى الشعر العربي يحاربونه بطرق كثيرة تحت عنوان الحرية حتى في اللغة، الحرية من القيود هذه: قيود القافية، وقيود البحور والوزن، مثل الشعر الذي يسمونه الشعر الحر، شعر حر، متحرر من القافية! هذه ليست حريات.

عندما يعرفون اللغة العربية التي عايشها العرب، وارتبطوا بها، وتحدثوا بها، وعرفوا قيمتها سيتذوقون القرآن الكريم، ويعرفون قيمته بشكل رهيب؛ ولهذا تجد أن مَن ينطلق ليفسر ممن هم أدباء انشغلوا باللغة على هذا النحو يكون تفسيرهم جيداً، يكون تفسيرهم ممتازاً يقدِّم القرآن بشكل جميل، بشكل مثلما يعمل (سيد قطب)[٢] هو أديب أساساً، لكن ليفسرْه نحوي، أو فقيه، أو أصول فقهي، فأيُّ واحد من هؤلاء يفسر، يطّلع لك القرآن لا شيء، بينما هذا يقدِّمه بشكل جميل جداً.

(محمد حسين فضل الله) أيضاً أديب، في تفسيره[٣] يكشف وجوهاً ممتازة وجذابة، والقرآن يقدِّمه بشكل عظيم، بشكل جذاب؛ لأنه عايش اللغة العربية في نصها، في النص العربي؛ ولهذا نقول: إنه ضروري جداً أن يكون في المراكز (ملازم) من هذا النوع يقراها الطلاب ونقراها جميعاً، تؤخذ مقطوعات شعرية من دواوين الشعر العربي ويقراها الطلاب، نتعود على اللغة لتعرف اللغة نفسها عندما تقرأ قصيدة، والقصائد هذه فيها أساليب لغوية تعبِّر عن معاني، بل يكشف لك واقع المجتمع العربي، وكيف كانت حياتهم، هذه كلها مهمة بالنسبة لفهم القرآن الكريم، كلها مهمة بالنسبة للعودة إلى القرآن الكريم.

تجد اللغة العربية محارَبة بشكل رهيب جداً من جانب الغربيين. طيِّب، ونحن أيضاً نأتي عندما لا يوجد منهجية تقوم على أساس اختيار ورؤية صحيحة، اللغة العربية مربوطة عندنا بالنحو، النحو عندنا من أشد

---

(١) عَنْبَر: غُرْفَة كبيرة للسجن الجماعي.

(٢) في ظلال القرآن.

(٣) من وحي القرآن.

الأشياء تعقيداً على الطلاب، يتصور أن اللغة العربية تعني النحو، والنحو قد بدا ثقيلاً، نقول: النحو هو واحد من فنون معرفة قواعد اللغة في النطق، وإلاّ فنحن أساساً لم نعرف اللغة بعد، تعال نقرأ نصوص اللغة: الشعر العربي، النثر العربي، مثل فقرات في (نهج البلاغة) وترجع إلى القرآن الكريم أهم مرجع عربي، بل هو موثق يوثق أيضاً، القرآن الكريم فيه توثيق أيضاً للنص العربي. أمّا (أصول الفقه) فبالتأكيد سيجعل الواحد متخبطاً مع القرآن ومع كل شيء.

(فمن أحياه الله بروحه فهو الحي الرضي) من أحياه الله بروح القرآن فهو الحي الرضي: الراضي عن نفسه، الراضي عن طريقته، المرضي عن طريقته، الراضي عنه الله سبحانه وتعالى. (وما كان فيه من حق فهو المصحِّي المضيئ) المصحِّي إذا هناك رقود يصحيهم. (لا تلتبس به الأغاليط، ولا تشوبه الأخاليط، فهو النقي المحض) نقي خالص ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾(فصلت:٤٢) الباطل بكل أنواعه، والباطل فيما يتعلق بجانب النص: اختلاف، تناقض، لا يوجد فيه نهائياً.

(والجديد أبداً الغضّ) طري دائماً، القرآن طري دائماً، لكن لا يعرف طراوته ـ وإلا "بيطلع غُبيب، له ألف ومدري كم سنة جالس"[1] ـ إلاّ من يتحركون على أساسه، من يتحركون على أساسه يجدونه طرياً دائماً، يجدونه يهدي دائماً، يجدونه يتحرك دائماً. طيِّب، نفس النص هو قديم، أليس النص نفسُه قديماً منذ ألف وأربعمائة سنة من يوم نزوله؟ لكن القرآن يقدِّم نفسه وكأن الآية نزلت الآن، في حركة الحياة، فيما يهدي إليه، وكأنه جديد دائماً، أي: ليس موضوع جِدَّته مرتبطاً بالجانب البلاغي في النص نفسه، ليس لهذا فقط، بل أيضاً فيما يهدي إليه، فيما يكشفه، فيما يرشد إليه، فمن يقرأه بتفهم يهدِه إلى أن يكون عنده فهم لمعانيه سيكون هو من يفهم بلاغته، ويفهم فصاحته.

لاحِظ هذه القضية هي مهمة معرفتها، أي: عندما نقول: إننا نقرؤه ولا نمل منه، والمسلمون يقولون هكذا، الآخرون قالوا: (فقط لأنكم مُربَّون على التعلق به، ومنشدُّون إليه هكذا، ومتعصبون له) لا، مسألة كون الإنسان لا يمل من قراءته إذا كانت قراءته بالشكل الذي يهتدي لمعانيه، سيراه دائماً جذاباً، يراه دائماً لذيذاً، يراه دائماً لا يمل منه أبداً إذا كان بهذا الشكل، إذا كان بهذا الشكل لا يمل منه أبداً، أمّا من يقرؤه هكذا بدون تفهُّم، فلا تصدِّق بأنه لا يمل منه، إلاّ أن يكون عنده حالة مُعيَّنة: هو يعتقد أن له ثواباً في قراءته فيقرأ ولو عنده ملل هو سيأتي له ثواب عليه.

فكونه لا يُمَل هو أن النص أرقى نص، آياته محكمة، وفيما يهدي إليه بشكل دائم، كلما ترجع إليه، وكلما تقرؤه دائماً يعطيك أشياء جديدة، وليس معنى (جديدة) مغايرة، بل جديدة في الاتجاه الواحد، القرآن هو في عمقه، هو عمق واحد، هو اتجاه واحد.

(لا يُخلِق جِدَّته تكرار، ولا يدخل محضه الأكدار) محضه: خلوصه، نقاؤه. الأكدار: ما يكدره. (بل نقي من ذلك كله فصفا، فأغنى بمنٍّ الله وكفى، فليس معه إلى غيره حاجة) ليس بك مع القرآن إلى غير القرآن حاجة (ولا فاقة، ولا يغلب حجته من ملحد فيه لدد، ولا مشاقّة) ملحد فيه: في القرآن الكريم، "لديدة"[2] لا يستطيع أبداً أن يكون منطقه بالشكل الذي يغلب منطق القرآن.

لَمَّا انصرفوا عن الطريقة هذه غُلِبوا، ألست ترى بأنها ظهرت إشكالات غرق فيها المتكلمون؟ "حَنبُوا فيها". عندما تأتي تقرأ لـ(ابن المقفع) تجد إشكالاته هي وليدة رؤية المتكلمين، ليست إشكالات طبيعية، أي: إشكالات ثقافية قامت على تقديم الموضوع برؤية طلع منها استشكال من عندهم وتساؤل، عندما تقرأ في كتاب (الرد على ابن المقفع) للإمام القاسم نفسه، وتتأمله تجد أنهم جاؤوا بإشكالات عندما انصرفوا عن طريقة القرآن في خطاب الآخرين، في دعوة الآخرين، قدَّموا الدِّين بطريقة مُعيَّنة، طلع عليهم إشكالات كبيرة.

معهم إشكالية حول موضوع جهنم لم تُحَل إلى الآن، ماتوا وما زالت مشكلة في كتبهم، حول قضية جهنم: لماذا جهنم؟ لأنهم فسروا التكليف قالوا: (عَرْض على الخير) تعمله يأتي لك خير، أي: يتفلسفون حول موضوع لماذا الدِّين من أصله؟ ولماذا وجب؟ كونه وجب قالوا: (من أجل شكر المنعم) وأشياء من هذه، لكن كيف حَسُن من الله؟!

---

(١) بيطْلَع غُبيب: من اللهجة العامية، وتعني: سيكون ذابلاً.

(٢) لَديدَة: من اللهجة العامية، ويعني: الشخص الذي يكون كثير الإلحاح في الأمور، واللديد في اللغة: شديد الخصومة.

كيف نعتبره حسناً أن الله فعله فهو محسن به؟ قالوا: (لأنه عَرْض على الخير) طلع لهم مشكلة من عند الزنادقة الذين يسمونهم زنادقة، يزنقونهم، زنادقة "يزنقون هؤلاء"[1] طلع من عندهم إشكالية يقولون: (تمام، عَرْض على الخير لكن إذا أحد لم يقبل هذا الخير فلماذا يعذبه؟! هذا ليس منطقياً، ولا معقولاً، فلماذا جهنم؟!) ولا استطاعوا أن يجيبوا عليهم.

تجدها مشكلة عند القاضي عبد الجبار في (شرح الأصول الخمسة) وعند غيره؛ لأنه يقول: عرض على الخير، مثلما أقول لك: قد جهزت لك مائدة مُعيَّنة، أليس هذا عرضاً على الخير؟ تعال، أنت لم ترضَ، فقمت أضربك حتى أشبِعك ضرباً، لماذا؟! إذا لم يرضَ فمع السلامة، لم يرضَ أن يسير على هذا الخير، لا يريده، لم يعجبه الدِّين أن يسير عليه من أجل الخير الذي سيؤدي إليه فاتركه وانتهى الموضوع، أمَّا أنك أيضاً تعذبه فلماذا؟! هذه الإشكالية انظرْ كيف طلعت من عند النظرة التي قدَّموها للحياة.

طلَّعوا أناساً أصحاب شُبه، طلّعوا أناساً متنكرين لهذا الدِّين بسبب تقديمهم الدِّين على هذا النحو. ولاحِظ أن هذه قضية حصلت، اليهود استطاعوا أن يطلّعوا أناساً كثيرين يتنكرون لهذا الدِّين بناء على تقديم الدِّين على هذه المفاهيم السائدة، يجعلون هذا الدِّين ليس له قيمة، ينفرون منه، العلمانيون يقولون: الدِّين ليس له علاقة بالحياة، وليس بشيء، من يريد الدِّين فذاك المسجد مكانه! بكل قناعة، ويناظرون ويحرجون الإسلاميين! يحرجونهم فعلاً لماذا؟ لأن الدِّين قُدِّم بالطريقة التي ينفر منها الإنسان، حقيقة، قُدِّم بالطريقة التي ينفر منها البشر على أيدي هؤلاء (المعتزلة) و(الأشعرية) و...

(**ولا يغلب حجته من ملحد فيه لدد ولا مشاقّة**) لا لدادته ولا مشاققته يمكن أن تغلب حجج القرآن الكريم نهائياً، أسلوب القرآن قدَّم أن الهدى الذي فيه حتى مع الآخرين ـ هدى الله كله، في عصر القرآن، ومن قبل القرآن ـ أنه يكون بالشكل الذي يجعل الطرف الآخر يؤمن به غصباً عنه من الداخل، لا أن يطلّع له إشكاليات وشُبَهاً أيضاً ويتنمر بها على الطرف الآخر الذي يمثل الدِّين ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا**﴾(الإسراء:١٠٢) ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾(الأنعام:٣٣) ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾(النمل:١٤) وهكذا يُقدِّم الموضوع بأن دين الله إذا قُدِّم، هدى الله إذا قُدِّم فهو بالشكل الذي يقتحم الإنسان إلى أعماق أعماقه فيؤمن به من الداخل رغماً عنه، وإن كان معانداً.

(**بل حججه الحجج الغوالب، وشهب نوره فالشهب الثواقب**) الحجج الغوالب تغلب أيَّ شُبَه، أيَّ شيء يطلق عليها صاحبها حجة (**وشهب نوره فالشهب الثواقب، التي لا يخبو أبداً ضوء نورها، ولا يخرب أبداً عمارة معمورها، فيخبو بخبوِّها نور ضوئها**) أي: يقول لك: حتى الإنسان عندما يكون مهتدياً بالقرآن الكريم فلا يتعرض في يوم من الأيام أن يأتي طرف آخر يستطيع أن يجعله يتلاشى، إذا كان هو مهتدياً.

والإنسان هو أيضاً من عنده إذا أراد أن يكون خبيثاً يستطيع، والقرآن عرض أن هناك نماذج من البشر من هذا النوع، أنه حتى لو تأتي له آيات كيفما كانت فلا يرضى، ليس أنه لم يفهم، لم يعرف، لكنه معاند، معاند صريح، ويمكن أن يكون هناك معاندون أعداء لله فعلاً، يحملون عداوة لله ﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾(التوبة:١١٤) الشيطان حمل عداوة لله، ليست القضية قضية (معرفة أو غير معرفة) يصبح له موقف هو يكون ساخطاً على الله، وعدواً لله، وحرباً لله هو.

(**وشهب نوره فالشهب الثواقب**) تثقب الظلام: تخترقه (**التي لا يخبو أبداً ضوء نورها، ولا يخرب أبداً عمارة معمورها، فيخبو بخبوِّها نور ضوئها، ويخرب لو خربت لخرابها نعمة الله وهّابها، فيكون خرابها تغييراً لها**) لنعمة الله، أو تغييراً لها، لهذه التي عمرت من نورها (**ولنعمة الله فيها، ولما جعله من هداه مضموماً إليها**) يبدو أنه في العبارات هذه نقص من ناحية التعبير في هذه النسخة (**ويخرب لو خربت لخرابها نعمة الله وهابها، فيكون خرابها تغييراً لها، ولنعمة الله فيها، ولما جعله من هداه مضموماً إليها**) خلاصتها أنه لو خربت لخربت هي، وخربت نعمة الله بها وفيها، وهذا لا يحصل.

---

(١) يزنقونهم: يُضَيِّقُون عليهم.

(ولن يغير الله نعمة كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١) ولن يلتبس شيء من هدى الله عليهم أبداً إلاّ بتلبيسهم كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأنفال:٥٣)) التغيير إلى الأفضل والتغيير إلى الأسوأ. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ هم غيروا ما بأنفسهم: تحولوا، فتحولت النعمة، تغيرت النعمة، ولن يتغيروا إلى واقع نعمة، وإلى واقع أفضل إلا بتغيير ما هم عليه، إذا كانوا على نعمة فلن يُسلَبوا هذه النعمة ولن تتغير إلاّ بتغيير من جانبهم هم.

فإذا لم يكن هناك اهتداء من جانب الإنسان ـ مثلاً ـ بالقرآن الكريم فليس لأن الله هو نفسه عمل عائقاً مُعيَّناً، أو غيَّر هو من تلقاء نفسه هذا الشيء، لا، بل بسبب من جانب الناس هم، يكونون على وضعية مُعيَّنة لا يهتدون بالقرآن الكريم، يحصل من جانبهم انحراف كيفما كان لا يعودون يهتدون بالقرآن، وهنا يقطع بأن الناس إذا أصبحوا لم يعودوا يهتدون بالقرآن فليس هناك شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يهتدوا به نهائياً.

(وفي التلبيس عليهم بتلبيسهم) هذا الاستشهاد على أنه لا يحصل من جانب الله هكذا: تلبيس، أو تغيير، أو هكذا، إلاّ من جانب الإنسان نفسه إذا غيَّر هو تتغيَّر نعمة الله عليه، لبّس على نفسه فبدا الموضوع ملبساً عليه.

(وفي التلبيس عليهم بتلبيسهم، وما وكلهم الله إليه في ذلك من أنفسهم، ما يقول الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾) أي: فهلاّ أنزل ملك (﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام:٨،٧)) وتطلع إشكالية أخرى؛ لأن الله لا يفصل تصرفاته وفق مطالب الآخرين ورؤاهم ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾(المؤمنون:٧١) يقول: لو أنزلنا ملكاً لجعلناه رجلاً، ثم يلتبس عليهم الموضوع ويقولون: ليس ملكاً.

هو يتحدث في القرآن عن مسألة المفاهيم هذه التي تكون عند الناس، مفاهيم مُعيَّنة، وتكون من أساسها دعاية مُعيَّنة، ثم تؤصل وتصبح مفهوماً مُعيَّناً، عندما كانوا يقولون: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾(المؤمنون:٢٤) ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾(الأنعام:٧) ومن هذا القبيل. هم في الأخير يقولون: الرسالة ليست قضية عادية، لو أن الله يريد أن يرسل رسولاً لأرسل ملكاً، لَمَا أرسل واحداً منا، أليسوا في الأخير يقولون: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾(يس:١٥)؟ ما أنتم إلا بشر، أليس هذا مفهوماً مُعيَّناً مغلوطاً يجعلهم لا يعودون يحاولون أن يهتدوا بالله؟

طيِّب، الموضوع هو لم يربطه بشخص الذي يقدِّمه يكون ملكاً أو يكون رجلاً، هو جعله بهذا الشكل، لماذا تجعل من شخصه كونه بشراً إشكالية؟ هو ليس إشكالية، انظرْ ماذا يُقدِّم لك، أليس يُقدِّم له آيات، ويُقدِّم له بينات، ويُقدِّم له هدى، يُقدِّم له أشياء يفهمها، أشياء يؤمن بها رغماً عنه؟ لكن لا، هو يتمسك بمسألة مفهوم من هذا: "ذا عندك ما هو إلاّ بشر"[1] قد لا يعود يحضر عنده، تجد كثيراً من الأنبياء لا يعود يحضر عندهم أناس من الأمم التي بُعث فيهم؛ لأنهم يقولون: (أبداً، ليس رسولاً، لا يمكن أن يكون رسولاً) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ولا يعود يحضر عنده نهائياً، هكذا تأتي مفاهيم عند الإنسان تصرفه عن أن يهتدي بشيء.

(وفي كتاب الله وترافده، وتشابهه في البيان وتشاهده) ترافده: بعضه يرفد بعضاً، يشهد بعضه لبعض، ويشد بعضه بعضاً، ويؤكد بعضه بعضاً (وتشابهه في البيان وتشاهده) لأن القضية الواحدة يتناولها من أكثر من جهة، ويقدِّمها أكثر من مرة، وفي أكثر من موضوع، قضية تأكيد، لا تكون فقط قضية واحدة ويخطفها خطفة[2] فقط، بل تجده يتحدث عنها كثيراً ومن جميع جوانبها.

(وفي كتاب الله وترافده، وتشابهه في البيان وتشاهده ما يقول سبحانه فيه وفيما جعله من ذلك عليه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾) يشبه بعضه بعضاً (﴿مَثَانِيَ﴾) بمعنى تثنّى الأشياء فيه، تتردد، وعندما تتردد لا تتردد على صورة واحدة، يكشف القضية من أكثر من جهة، من أكثر من جانب. (﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ

---

(١) ذا عندك: من اللهجة العامية، وتعني: ذلك.

(٢) خَطْفَة: تعني – هنا – مرورها بسرعة.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(الزمر:٢٣) هذا هدى الله، فالذي لا يهتدي به سيضل، ويضله الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ولم يعد هناك أيُّ طرف آخر يمكن أن يهديه على الإطلاق، الضلال ـ مثلما نقول أكثر من مرة ـ الضلال معناه واسع جداً في كل مجالات الحياة.

(فهل بعد هذه الآية وبيانها للحد ـ أنصف نفسه ـ في كتاب الله من حيرة في شك أو إلحاد؟! لو لم يسمع فيه غيرها، إذا هو فَهِمَ تفسيرها، فكيف بما تَثَنَّى الله في الحجة لذلك من المثاني، وكرر على ذلك من شواهد البرهان التي فيها من الحجة والتبيين والإتقان، ما هو أحق من كل رؤية وعيان) أي: أنه يُبيِّن ويوضح بما هو تقريباً أكثر من ماذا؟ من وضوح المرئيات، بما هو يكاد أن يكون أكثر من وضوح المرئيات.

(فليَسمع سامع لتقرير الله سبحانه لعباده على الشهادة له، بتنزيله الكتاب إذ يقول سبحانه فيهم لمن أنكر أنه تنزيل رب العالمين: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(هود:١٣) إذا كنتم ترون أنه افتراه، صلّحه من عنده، فأنتم عرب مثله تستطيعون إذاً فهاتوا عشر سور مثله مفتريات، إن كان على ما تقولون أنه مفترى، وأنت افترِ هات عشر سور، هل تستطيع أن تعمل عشر سور من مثل القرآن؟ لا تستطيع. هناك قال في آية أخرى: ﴿بِسُورَةٍ مِن مِّثْلِهِ﴾(البقرة:٢٣). (﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(هود:١٣)) بأنه افتراه، وبأنه مفترى وليس من عند الله؛ لأن ما كان من عند البشر فيستطيع البشر أن يعملوا مثله، ما كان صناعة بشرية يستطيع الآخرون أن يصنعوا مثله، إذا كان هناك مثلاً ساحر أليس يستطيع شخص آخر أن يتعلم قواعد السحر فيكون ساحراً مثله؟ إذا كان هناك أحد مثلاً يبدع في مجالات مُعيَّنة ـ أليس للصناعة قواعد مُعيَّنة؟ ـ يستطيع مَن يتعلمونها أن يصنعوا مثله، وهكذا.

(فأمرهم تبارك وتعالى بذلك بالحشد لأوليائهم، ولكل من قدروا عليه في ذلك من أعدائهم، ممن أنكر من القرآن ما أنكروا، وكفر بالله كما كفروا، فلم يستجب له في ذلك مجيب، أحمق منهم ولا لبيب، وانحسروا عن الجواب له قاصرين، وغلبوا بمنِّ الله صاغرين، ولو وجدوا على ذلك قوة لأجابوا فيه ـ مسرعين ـ الدعوة، ولو كان ما جاء به بشرياً) شيء من صناعة البشر (لكان بعضهم عليه قوياً) يستطيع أن يأتي بمثله (لتشابه البشر في القول والنظر، والهيئات والصور. ولعلم الله بعجزهم عن أن يأتوا بسورة واحدة من سوَره، أو بشيء مما جعله فيه من هداه ونوره، ما يقول أرحم الراحمين لرسوله وللمؤمنين: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(هود:١٤) فهل بعد هذا من تقرير أو برهان، أو تبصير لقوم يعقلون؟!).

ونحن نأتي في الأخير ونقول: القرآن على هذا النحو: عظيم، وهدى، ونور، وشفاء...إلخ، لكن نقول في الأخير: (هذا القرآن لم يستطع أن يوحد الناس)! أو نقول: نحن مثلاً نتفرق في قضايا ثم نضفي عليها شرعية، ويقدِّم موضوع الدِّين كل واحد من عنده، فتفرقنا واختلفنا، وهذه هي إشكالية، أليست إشكالية؟ ثم نحسبها على الدِّين!

فإذا افترضنا أنه لا يوجد في القرآن حل لهذه الأشياء، لا يوجد في القرآن حل لهذه الوضعيات السيئة التي الناس عليها، معنى هذا لا يوجد قيمة للضجة هذه بكلها حول عظمته وهدى ونور وشفاء وبصائر...إلخ، إذا لم يكن فيه ما يُعتبَر بصيرة نُبصر فيها الحالة السيئة التي نحن فيها، إذا لم يكن فيه ما نبصر به طريقاً لا نختلف إذا سرنا عليها، أليس هذا من أبسط الأشياء ومن الإشكالات القائمة التي يلمس الناس دائماً بأن هناك حاجة إلى حل لها؟ لأن الكل مختلفون، عندما تأتي تناقشه يقول لك في الأخير: (لكن ما أمكن إلا كذا) أليس يقول: هي إشكالية؟

أو يقول لك: (الاختلاف هو طبيعي) أي: البشر هم طبيعي أن يختلفوا (والاختلاف هو طبيعي عند البشر) قلنا: صحيح، الاختلاف طبيعي عند البشر؛ ولهذا كان ممنوعاً أن ينزل الدِّين إلى بين أيديهم وكل واحد من عنده؛ لأنهم سيختلفون فيه؛ لأنهم متنوعون في رؤاهم، في أمزجتهم، في طبائعهم، فكان القرآن، وكان هدي الله بالشكل الذي ينضوي تحت لوائه من هم مختلفون، ولو نزل إليهم سيختلفون فيه، ويفرقونه، ويمزقونه؛ لأن الاختلاف طبيعي عندهم، أليس الاختلاف طبيعياً؟ الاختلاف هذا نفسه الذي يقولون هو طبيعي ليس قضية سلبية، بل هو أصلاً تنوع بالنسبة لعمارة الحياة، هو تنوع، لكن إذا أردتَ أن تنزل القرآن إلى بين أيدي هؤلاء المتنوعين فسيمزقونه كل ممزق، والدِّين يفرقونه، وكل واحد ينطلق وحده.

وهذه قضية فيها شاهد من الحياة بالنسبة لنا، ألست مثلاً ستجد في الشعب الواحد ترى الناس مختلفين، مختلفين في مؤهلاتهم، مختلفين في صناعاتهم، مختلفين في أذواقهم، مختلفين في مهنهم، ويأتون بنظام واحد، أليسوا يأتون بنظام واحد؟ يكون نظاماً لحياة هؤلاء الذين تراهم: هذا نجار، وهذا طبيب، وهذا كهربائي، وهذا "ملحّم" وهذا بنّاء، وهذا "مليّس"[1] وهذا يأكل هذا الأكل، وهذا لا يعجبه هذا الأكل، وهذا يأكل كذا، وهذا يعجبه أن يكون شكله كذا، هذا التنوع أليس حاصلاً عند الناس؟

هذا لا يمكن أن يحصل عندنا نحن البشر، أي: نقول: إنها ليست قضية صحيحة أنه ممكن أن ننزل قانوناً ونجعله في متناول الناس هم، نقول: أنتم اعملوا لكم قانوناً، وكل واحد يسير على ما ترجَّح لديه! أليست ستَطلع رؤى متباينة؟ يأتي القانون بالشكل الذي لا يخضع للاختلافات هذه، بل هو يحسم، أي: يُعتبَر نظاماً يجمع هؤلاء المختلفين في صناعاتهم، في أمزجتهم؛ ليسيروا في اتجاه واحد في الحياة، وليس معناه ليطلعوا كلهم نجارين، أو يطلعوا كلهم كهربائيين، أو يطلعوا كلهم "ملحِّمين" أو بنائين، لا، لأن مجموع البنائين، و"الملحمين" والكهربائيين، والأطباء، والإداريين، والمعلمين...إلخ، كلهم يبنون ماذا؟ يبنون الحياة.

فهنا يجعل كيف يكون عمل النجار بشكل صحيح، يكون رافداً في الحياة، يكون له أثر في الحياة، مثل الكهربائي، مثل المعلم، مثل كذا، فيضبط هذه المسيرة المتنوعة، يضبط الناس المتنوعين في مسيرتهم، ويجعل المؤدى واحداً والغاية واحدة، ويجعل البناء في الأخير بناء واحداً.

عندما نتصور مثلاً أمة تكون قوية، أليست كلمة أمة تعني شيئاً واحداً؟ تتصور قوة واحدة، أليست هكذا؟ تنزل إلى تفاصيل القوى، تقول: يجب أن يكون هناك زراعة، يكون هناك تعليم، يكون هناك صناعة، يكون هناك مراكز علمية، ومراكز أبحاث، ألست هنا سترى تنوعاً؟ لتشكيل قوة، وتتشكل أمة واحدة، بناء الأمة يتمثل في هذا التنوع الواسع، فليضبط المسألة بحيث يكون هذا التنوع بالشكل الذي يبني أمة، ويكون هؤلاء بالشكل الذي لا يكون بينهم اختلافات، بل ينطلقون انطلاقة واحدة وهكذا.

أمَّا في دين الله فكيف نجوِّز أن ينزله إلى بين أيدينا وكل واحد ينطلق على حسب مزاجه؟! يستنبط هو، ويسير على ما ترجَّح لديه وفهم، وعلى ما غلب عليه ظنه، وعلى ما أدى إليه نظره، أليست هذه قضية؟ هذه لا تُقبَل عند أيِّ شخص عنده تفكير لصناعة نظام ولو لمديرية واحدة فما بالك لشعب، هذه الطريقة ليست صحيحة أبداً.

فعندما يقول لك واحد: (الخلاف هو طبيعي) طيِّب، هذا شاهد على المسألة هذه؛ لأنك ترى الناس هكذا يختلفون في أمزجتهم، في أهوائهم، في أشياء من هذه، فهذا شاهد على أن الدِّين لو نزل إلى بين أيديهم فيخضع لرؤاهم وأنظارهم سيختلفون، وهذا الذي حصل فعلاً، أليس هو الذي حصل؟ وشهدوا، وأصبح مبحثاً من مباحث (أصول الفقه) نفسه، ومن مباحث (علم الكلام) موضوع (الاختلاف) قضية حصلت لا يوجد أيُّ مجال لسدها لئلا تحصل، بحيث نعمل على ألاّ تحصل، ثم قاموا ببحثها: (هل كل هؤلاء المختلفين مصيبون، أو أن الحق واحد والباقون مخطئون؟ وإذا قلنا: الباقون مخطئون، فهل هم آثمون أو ليسوا آثمين؟ أو مَن هو الآثم، ومن هو الذي ليس آثماً؟!) هو أصبح مبحثاً في حد ذاته، أي: قضية مسلَّمة، وقعت فعلاً.

طيِّب، لماذا لا يعملون بحثاً أنه: هل هناك شيء يحول دون أن يحصل اختلاف على هذا النحو، وكل واحد يقدِّم رؤية من عنده، وكل واحد يقدِّم فكرة من عنده في هذا الدِّين، وكل واحد يقدِّمها بأنها هي الدِّين، أو ما يريده الدِّين؟ لا بُد أن هناك حلاً، إذا لم نفترض في القرآن الكريم حلاً لهذا، فمعنى هذا بأنه ليس هناك حاجة لقوله: هدى، نور، شفاء، بصائر...إلخ.

لأننا بحاجة، هذه ظلمة، أليست هذه ظلمة؟ وهذه إشكالية كبيرة، هذه تجعل الأمة لا تلتقي على موقف واحد، تجعل الأمة تتعادى فيما بينها، تجعل الناس يحارب بعضهم بعضاً، تجعلهم أمام الأعداء ـ إذا جاءت قضية ـ يختلفون بدل أن يتوحدوا في وجهه، أليس هذا شيئاً ملموساً؟ هل هناك حل لهذه وإلاّ فما هو النور والبصائر إذا لم يكن هناك نور وبصيرة لهذه المشكلة وأمثالها؟ وكم يا مشاكل من هذا القبيل، أي: هذه هي قاعدة على أساس أن ننطلق منها، عندما تجد في القرآن الكريم أن الله يقول لك: حكيم، عليم، قدير، رحيم، أليس هذا شيئاً؟

---

(١) (مُلَحِّم): يعمل في ورشة الحديد. (ملَيِّس): يعمل في التَّلْييس؛ أي: إضافة خلطة الإسمنت إلى الجدران لتقويتها وصقلها.

قل: لا بأس، لكن إذا افترضنا بأنه ليس عندك أيُّ تدبير في هذا الموضوع الذي نحن نراه بالنسبة لنا شقاء، وحالة غير حكيمة، وحالة غير صحية ـ كما يقولون ـ فما معنى عليم حكيم قدير وأنت ملكنا وإلهنا؟ أليست هكذا؟

لا بُد أن تفترض أن لديه ما يجعل حياتك بالشكل الذي تتناسب مع حكمته هو، مع رحمته هو، لا بُد أن تفترض هذه، عندما يقول لك: القرآن هدى ونور وشفاء، طيِّب، أنا عندي إشكاليات مُعيَّنة، وفي الحياة إشكاليات مُعيَّنة، فلا بُد أن نفترض أن في القرآن حلولاً لها لو سار الناس عليها لَمَا وقعت هذه الإشكاليات نهائياً.

أمَّا إذا افترضنا أن القرآن ليس له دخل من الموضوع إذاً فما تردده أنت عبارات فاضية: نوراً مبيناً، وهدى، وضياء، وأشياء من هذه، وأنت مؤمن بالإشكالية كإيمانك بالقرآن! كيف تؤمن بالمشكلة كإيمانك بالقرآن أنها واقعة، ولا يوجد منها مخرج؟! طيِّب، أنا أريد أن أسألك أنه إذا كان القرآن ليس فيه نور لهذه المشكلة إذاً فالقرآن ليس فيه حل لهذه المشكلة، وهذه قد تحصل لواحد في مناظرة مُعيَّنة، قد تحصل لك هذه؛ ولهذا نقول: يجب أن نفهم ما هو الحل؟ ما هو الحل فعلاً وإلاّ قد يقال بالنسبة للقرآن: هدى، نوراً، شفاء...إلخ. نقول لك: طيِّب، هنا وضعية مُعيَّنة أليست إشكالية؟ (صحيح، هي إشكالية) إذاً ما هو النور هنا لهذه؟ ما هو الهدى هنا في هذا؟ ما هو...إلخ. عندما لا يكون هناك شيء إذاً لماذا تقول لي أنت: هدى، ونور، وأنت معتقد بأن هذه ظلمة، ولا يوجد منها مخرج في القرآن؟! أليست هذه مشكلة؟

لاحِظ كيف مارسوها بطريقة مستعجلة، حتى أصبح مفهوماً سائداً عند الناس أنه نقرأ كذا بنية كذا، أليست هذه حالة؟ قالوا: (اقرؤوا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة و﴿آلَمْ تَرَ﴾ خمسمائة مرة، يقرؤونها بنية أن يدمر الله أمريكا وإسرائيل)! طيِّب، نقول: الغلطة في هذه أن هذا تقديم للقرآن بالنسبة للعامة بشكل غير صحيح، سيأتي من بعدك إحباط، سيقرؤونها كم ليالي من ألف مرة، من خمسمائة مرة، ورأى العدو إنما فقط إنجازات، ونجاحات في عمله هناك، أخذ بغداد، أخذ العراق، وأصبح يريد إيران، يريد السعودية.

ماذا سيقول الناس بعد، من يقرؤون القرآن بالشكل هذا؟ سيقول الواحد: (لم ينفع) هي نفس هذه، أي: هو ليس فيه حل للمشكلة هذه، ما عمل شيء، ما له أثر! أليست هنا ستهبط قيمة القرآن في النفس؟ بالرؤية هذه عندما يقول لك: اقرأ كذا بنية كذا، وقرأ قرأ وفي الأخير يقول: (لم ينفع) تهبط قيمة القرآن عنده، أي: لا يوجد فيه مخرج لهذه.

لكن لا، يُقدَّم القرآن بالشكل الصحيح في التعامل معه، هو يهدي عملياً تنطلق ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾(الأنفال:٦٠) ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(آل عمران:١٢٢) وهكذا، أليس هو يهدي عملياً؟ لأنه أنزله كتاباً لنقرأه ونسير على هديه، وليس لنقرأه هو على العدو، تقرأه على هذا العدو، لا؛ ولهذا لم تحصل في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لم تحصل، لم يقعد في مسجده ويقرأه على المشركين وهم متجهون إلى المدينة، بل خرجوا لقتالهم في (أحد) خسروا سبعين شخصاً منهم (حمزة) ألم يكن أسهل عليه أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة؟ لكن هذه ليست طريقة، خاصة وأنت في مواجهة يهود، وحملة دعائية، حملة ثقافية يهودية متجهة، قد أصبحوا معبئين، خبثاء، عارفين ماذا يطرحون من إشكالات، إذا لم يكن هناك عند الناس فهم لحل فعلاً سيجعلون الناس يكفرون، يشكون في الدِّين، أو على الأقل لا يكون للدِّين قيمة عندهم نهائياً.

عندما يقول: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(الفرقان:٦) معناه أن كل قضية لا يغفل عنها، يوجد في القرآن ما يهدي إليها، إذا كان الإنسان لا يلمس أنه يوجد حل تفصيلي لتلك النقطة الفلانية، فهو يهدي إلى شيء، هذا الشيء يقوم على أساسه الحلول التفصيلية للقضية، ثم إن القرآن ـ كما نقول أكثر من مرة ـ القرآن الكريم أيضاً هو بالشكل الذي لم يقدَّم بمعزل عن الله، الإمام القاسم (عليه السلام) أيضاً له عبارة في هذا الموضوع، لم يقدَّم بمعزل عن الله، أو بديلاً عن الله على الإطلاق، هو يهدي، ومما يهدي إليه: يهدي كيف تكون نظرتك إلى الله، كيف يكون تعاملك معه، كيف تكون ثقتك به؟

ثم يأتي يتدخل هو، لاحِظ في القرآن الكريم أليس هو يعرض تدخلات إلهية؟ في كل الميادين، حتى في الحالة التي المسلمون لا يكونون منتبهين ماذا يعمل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا

﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾(المائدة:١١) أليس البعض يأتي عنده تفكير الآن أنه إذا قال الناس كذا أنه "سيأتي ذاك يدجّهم، ويأتي مدري من هو ذاك يدجنا، وعاد احنا، وعاد احنا، يا خبير أمانة بطّل"[١]. ثم يطّلع حكمة، يطّلع موقفاً حكيماً: أن يقعُد الناس! طيّب، كلمة "يدجّوكم، أو يدجّوهم" ليس لها أصل في القرآن نهائياً، يقول لك: لا، هل تدري متى يمكن أن "يدجّوك"؟ عندما لا تسير على القرآن "سيدجّوك" ولو كنتَ في الميدان.

(...)

أليس الناس سيموتون رغماً عنهم؟ إذاً اتركنا ـ وقد أصبحنا في آخر الدنيا، ونحن هؤلاء بعد ألف وأربعمائة سنة، الله أعلم كم بقي في عُمْر الدنيا، وقد جرب الناس كل شيء ـ اتركنا نجرب القرآن، ننطلق على هديه بثقة وأينما وصلنا نوصل، وأنت أمام عدو "سيدجّك" ولو كنتَ قاعداً، ولو لم تتعرض له، ولم تتكلم بكلمة عليه، أنه سيبحث عنك، هو هذا يخطط ضد (السعودية) يقوم يعمل في الرياض انفجاراً رهيباً جداً، حتى يقول: (رأيتم أنكم مقصرون؟) وليسوا مقصرين، هم أصدقاء لأمريكا أكثر من صداقة بعضهم بعض، حتى إنهم يقولون عن السعوديين أنفسهم: إن الكثير من السعوديين يكونون عارفين لأمريكا أكثر من معرفتهم للسعودية نفسها! يكون موظفاً في جدة أو في الرياض، وجاءت العطلة وسافر إلى أمريكا، لا يعرف لا المنطقة الشرقية، ولا يعرف مناطق أخرى. يعرفون أمريكا أكثر مما يعرفون السعودية.

يطّلعون لهم تلك القضية؛ ليقولوا: السعودية مقصرة، هم قالوا مقصرين، لا يستطيعون، لم يقوموا بواجبهم في مكافحة الإرهاب إذاً هم عاجزون لا بُد أن نتدخل نحن. إذاً لاحِظ هنا ألم يدجّهم؟ افترض دجّنا فاتركه يدجّنا ونحن نعمل ضده، ولا يدجّنا ونحن ساكتون، أليس هكذا أفضل؟ على مبدأ الدجَّة التي يسمونها "يدجّهم أو يلبجهم".

ترجع إلى القرآن هو يَعتبِر هذه الدجَّة قضية ليس لها أساس من الصحة نهائياً، هو يشكّل وقاية، لاحِظ في سورة الروم ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ هذه العبارة المهمة جداً، من بداية حركة النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في مكة إلى أن تمكن أن يقيم دولة في المدينة، يعمل تغييراً عالَمياً، صراع دولي بالشكل الذي يتناسب مع حركته، ما عاد بدوا عليه يريدون أن يدجوه إلاّ وقد أصبح قوياً، وعارفاً كيف يتعامل معهم. ألم يدجّهم هو؟ وفي الأخير هؤلاء هم دجّوا الفرس والروم، ألم تنتهِ إلى هذه القضية في الأخير؟

هذه المسألة ـ وهذا التفكير عند الناس كلهم ـ قضية "ما بلّى با نقم ودجونا، أحسن لنا ما لنا حاجة"[٢] في القرآن منسوفة بشكل مؤكد، ومكرر، ومبين؛ لأن الله يعلم كيف يفكر الإنسان، أليس هو يعلم؟ إن كان عندك عقدة مُعيَّنة فهو يهدي إلى ما يحلها، ويقول لك إنه يصنع في واقع الحياة ما لا ترى هذا الشيء وتتخيله (الدجَّة هذه) هو هذا يقول لهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(الأنفال:٢٦) جعل الفرس يدجّون الروم، والروم فيما بعد يدجّون الفرس، ألم يأتِ الدجّ هناك؟

لكن إذا لم يتحرك الناس سيجعل الروم يدجّونهم، ويجعل الفرس يدجّونهم، يجعل أمريكا تدجّهم، ويجعل كثيراً من الناس يدجّونهم عندما لا يتحركون؛ لأنه يكون تسليطاً؛ لأنه من تفترض مثلاً؟ اليهودي هو الذي يأتي يشتغل بالقرآن والنصراني، إن الناس هم يعتبرون أنهم قد أعطوا الله ميثاقاً، عندما سموا أنفسهم مسلمين، وآمنوا بهذه الأشياء هم مسلمون، إذاً يجب أن يسيروا وإلاّ سيعرِّضون أنفسهم هم لتسليط من جانب الله، يسلط عليهم أخبث أعدائهم.

إذا كانت هذه رؤية عندي وعندك، ارجع إلى القرآن الكريم ترى كيف رؤيته في الموضوع، ليست بهذا الشكل، بل هو يرسم طريقة تكون بدايتها فكرة تراها ليست بالشكل الذي أمامها عوائق نهائياً، أن الناس أنفسهم يحملون الشعور بمسؤولية، هذه أول واحدة، يعرفون الله ثم يتحملون مسؤولية أن يكونوا أنصاراً له هذه واحدة، على هذا الأساس ترى في الأخير موضوع الوحدة عندما يقول أحد، أليست الوحدة أساسية؟ لكن الوحدة

---

(١) ما بين القوسين من اللهجة العامية: (يدُجُّهم): يضربهم. (عاد احنا): مازلنا. (يا خبير): يا صاحب. (بَطِّلْ): اتركْ.

(٢) ما بين القوسين من اللهجة العامية ويعني: عندما نقوم سيضربوننا، والأفضل لنا ألاّ نتدخل.

مفتاحها من هنا.

طيّب، في هذا الموضوع ليس هناك أحد سيحول دونك أبداً في أن تتحمل الشعور بالمسؤولية، هل أحد يستطيع أن يسيطر على مشاعرك؟ لا، في مجال معرفتك لله حتى تثق به، وتعرف ماذا يعمل للناس إذا كان معهم، عندما يكونون سائرين في طريقه، هذه قضية أيضاً لا يوجد عائق أمامها، الباري لا يجعل عوائق أبداً.

ثم ترى أن الناس إذا ساروا بهذا الشكل كانوا قريبين من التوحد؛ لأن المسألة: أن الله يرسم طريقة للناس يسيرون عليها، أسباب لأن يتدخل هو في الموضوع؛ ولهذا قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾(آل عمران:١٠٣) ألم يتدخل؟ هذه ليست قضية هكذا مصادفات، هذه لها سنن من عنده، لها أسباب ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(الأنفال:٦٣) أليست هكذا؟ هذه واحدة.

وعندما يتحملون الشعور بالمسؤولية سيكونون قريبين من التوحد، سيكونون قريبين في أشياء كثيرة تحصل في مجتمعهم: أخوّة، ألفة، تعاون، محبة، صدق؛ لأنهم كلهم قد أصبحوا يشعرون بمسؤولية أن يتحركوا بموقف واحد، وأن عليهم أن يكونوا على هذا النحو؛ فانطلقوا تلقائياً، لا يكون هذا التثاقل إلاّ بسبب أنه ليس هناك ما يدفعنا، لا يوجد لدينا الشعور بالمسؤولية فنرى بأنه فعلاً واجب أن نتوحد ويجب أن نتوحد، ولا تسبَّبنا بالطريقة التي تؤدي إلى أن يتدخل الله في الموضوع فيؤلف هو بين قلوبنا، هذا ليس حاصلاً، فقط نؤمن بأن التوحد ضروري ولكن ليس هناك أحد متوحد مع أحد، ولم ننطلق من هذه البدايات؛ لأن هذه سنة في القرآن الكريم أن الله لا يهدي إلى شيء أو يأمر بشيء إلاّ ويهدي إلى الأسس التي يقوم عليها والطريقة التي تؤدي إليه، هو لا يقول كذا ثم يتركك وحدك، التوحد ما هو؟ وكيف يكون؟ ما أسسه؟ ما الذي يجعل الأمة قريبة من أن تتوحد؟ رسمها في القرآن الكريم بشكل كامل.

لاحِظ متى ما قال أحد: (نحن ضعاف، ونحن مفرَّقون، ونحن، ونحن...) أليس الواحد يقول هكذا: يعدِّد؟ طيّب، هذه هي مشاكل، أليست مشاكل؟ لا بُد في إيمانك أن تفترض أن في القرآن ما يُعتبَر حلاً لها، وإلاّ لكانت مشكلة، أليس الله يقول: ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾(الصف:١٤) وكونوا، وكونوا؟ وهو يعلم بأننا ضعاف لن نستطيع أبداً، ثم يكون تكليف ما لا يطاق، أليس كذلك؟ لأنه يخاطب الناس هو يعلم أنهم يستطيعون، ويخاطبهم بالشكل الذي يقول لهم هو أيضاً سيكون معهم، ثم يعمل هو الشيء الكثير الذي لا يمكن أن يعملوه.

نقول هذا آية من آيات الله في الموضوع في بداية الإسلام، يضرب الروم بالفرس، ثم يضرب الفرس بالروم خلال تلك المرحلة، من بداية حركة النبي في مكة، وقد أصبح ظاهراً هكذا عمله عمل ديني، في ظرف مُعيَّن. حتى أصبح في المدينة، وأصبح له كيان، وأصبح معه جيش، ألم يَضرِبهم ببعضهم بعض هناك؟ وكلهم كانوا (مفتّحين عيونهم) عليه، فلو أن المسلمين ذلك اليوم كانوا يقولون: (لكن الروم، لكن الفرس، ولا نستطيع، ولا بأيدينا، ولا، ولا...) لم يكن لديهم أحياناً أكل، أضعف مِنا، حقيقة.

ثم لا يمر الزمان إلاّ ويرون أنفسهم هم ـ أولئك الذين كانوا مستضعفين في الأرض ـ أصبحوا: هذا والٍ على منطقة كذا داخل بلاد فارس، وهذا والٍ على كذا، وقادة للجيوش في أعماق بلاد الروم وفارس، وهم أولئك الذين كانوا مستضعفين في الأرض ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ وكل شيء تقول فيه (لكن) افهمْ أنه محلول في القرآن، وتقطع كل الأعذار، وليست بطريقة يقطعها بالقوة غصباً، يقول ليس لديك مجال لو يحصل ما يحصل، لا، هو سيكون معك، وتحصل تغيرات، ويحصل كذا، أشياء كثيرة، يرغبك للطريقة نفسها، ويكشف لك كل الوسائل التي يمكن أن تهيئها، وتجعلها سهلة، وتصل إليها تلقائياً، ليس أنه يأتي بمنطق ليس لديك مجال، نقول نحن ضعاف، يقول: لو لم تستطع فغصباً لا بُد أن تعمل هذا وإلاّ جهنم، ليس بهذا المنطق نهائياً.

يهيئ، ويتحدث بأنه يهيئ وأنه يعمل الشيء الكثير الكثير، عرَض أمثلة كثيرة سواء كانت من بداية الإسلام وحركة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أو من الأمم الماضية، عندما يَعرِضها في القرآن الكريم ليثق الناس به، يَعرِض صوراً حقيقية؛ ولهذا لا تكون قصصه عبارة عن قصص مثل القصص التي يعملها الآخرون كتّاب قصاصون، يلاحظ موضوعاً مُعيَّناً ويكتب فيه قصة افتراضية (قصة خيالية) بل قصص واقعية، من واقع الحياة؛ لتثق أكثر، تكون أمثلته أمثلة واقعية من واقع الحياة، مما عمل هو بالأمم الماضية، مما عمل هو لأوليائه في

الأمم الماضية، ومما عمل هو في بداية حركة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حركة الرسالة.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾(القصص:٥٧) أليست هذه الدجّة التي هي عندنا؟ "با يقطعوا علينا مدري إيش، وما عاده جاي لنا شيء"[1] هنا أشار لهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(القصص:٥٧) يتحرك هؤلاء مرغمين، ويأتون بالحاجات إلى عندهم أنفسهم، أي: هنا كمثال، ويتحدث في آيات أخرى عمَّا يزيح هذه الفكرة: (نتخطف من حولنا، يدجّونا) عمل أشياء كثيرة تزيح الفكرة هذه من نفوس الناس.

حتى الأرقام عندما يقول مثلاً: (نحن قليل ـ هو هذا قال: ﴿أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾(الأنفال:٢٦) قليل ـ لكن متى ما قد صرنا كثيراً فممكن) ضرب أمثلة في هذا الموضوع نفسه، أصبحوا كثيراً فضعفت ثقتهم بالله: ضربهم في يوم (حنين) اثنا عشر ألفاً بعدما هزموا المشركين وفتحوا مكة، وذهبوا فهُزِموا أمام قبيلة! أليست هذه واحدة منها؟ القضية ليست قضية أرقام هنا، بل هي قضية ثقة بالله، وتعِدّ كل ما تستطيع من قوة، ومهما كان لديك من قوة وأرقام كبيرة لا بُد أن تبقى حالتك دائماً مشدوداً إلى الله ثقة به ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(آل عمران:١٢٦) هدايته، تأييده، لا ترتبط بنفسك على الإطلاق مهما بلغت من قوة، يقول: أعد كل قوة.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين عن مسألة التوازن، أو التكافؤ أنه لا بُد من التكافؤ. فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]

يوجد فهم مغلوط لمسألة التكافؤ، أي: تتصور أن القضية هي قضية مثلاً حديد، عند العرب قوة أخرى تعطل تلك القوة، لا تحتاج لها ـ ربما ـ خبرات نهائياً؛ لأن هذه سُنة إلهية، لا يسمح للعدو أن يكبر دون أن يكون فيه نقاط ضعف كبيرة، أمريكا عندها تكنولوجيا متقدمة جداً، عندها سلاح متطور، عندها جيش كبير، عندها عتاد عسكري كثير جداً، لكن لو أن العرب قاطعوها اقتصادياً، وقطعوا النفط ـ هذا العمل هل فيه تكنولوجيا أو فيه شيء؟ ـ لانهارت، لو سحبوا أموالهم من بنوكها لانهارت أمريكا. أيضاً إذا كان هناك فهم لِمَا هو التكافؤ، المسلمون ملزمون بأن يطوروا أنفسهم على أرقى مستوى، أن يُعِدُّوا كل القوة، لكن وقوة واحدة يجب أن تكون لديهم دائماً ومسيطرة على مشاعرهم.

مسألة التوازن هذا نفسه: أن تفهم سنناً أخرى، لا تأتي تقارن بين نفسك بأنه ليس لديك إلاّ بندقية، أو عندك حاجة بسيطة والآخر عنده طائرة، وعنده كذا، فتقول: (متى ما أصبح عندي طائرات ودبابات، وكذا، وكذا...إلخ، فسأعمل كذا) أليس الناس قد يقولون هكذا؟ لا، افهمْ في الواقع بأن هذا العدو الكبير يوجد ثغرات لديه، يوجد نقاط ضعف رهيبة جداً، يوجد وسائل في متناولك أن تعملها فتؤثر عليه، وأنت في مواجهته أنك فعلاً تؤثر عليه فعلاً، خاصة في الزمن هذا، الحرب في الزمن هذا وإن بدت أرهب فهي أسهل، هي أسهل، ووسائل مواجهة العدو كثيرة ومتنوعة في متناول الناس أن يعملوا الكثير منها، ففي يديك وسائل تعيقه عن استخدام ذلك السلاح الكبير، إذاً هذا توازن، أليس توازناً؟ هنا التدخل الإلهي، هو يعمل عملاً كبيراً جداً، أو العمل كله يأتي من خلال التدخل الإلهي.

لكن متى يكون التدخل الإلهي؟ ليس فقط أن تأتي تقرأ ألف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بل أن تتحرك فعلاً، تفكر، تنظم، تُعِد كل ما لديك من قوة، تُغرِق ذهنيتك في الموضوع، التدخل الإلهي قد يجعل الشيء من جانبك له تأثير بالنسبة للعدو، يجعل وجودك إشكالية تُرْعب العدو ولو كنتَ كياناً صغيراً، تصبح قرارات العدو نفسه بالشكل الذي لا يرى بأن من مصلحته أن يضربك، هذا تدخل إلهي يأتي يعيقه عن أشياء؛ لأن الله هو مهيمن على الناس جميعاً، وضرب أمثلة عن هذا في القرآن: عندما يقول عن موسى وفرعون، فرعون يقول: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾(غافر:٢٦) أليس هو هنا يقول اتركوني أقتله ولا أحد منعه، ولا شيء، هنا يأتي دفاع إلهي، تأتي متغيرات، أو العدو نفسه يتبنى خطة يرى أنه لا بُد أن يسير عليها وتكون هي بالشكل الذي تُظهِر لك نقاط ضعف كثيرة فيه، وتتيح لك مجالات كثيرة أن تعمل ضده.

نقول: إن الناس يستطيعون أن يعملوا ضد أمريكا بشكل مكشوف، وسيكونون أبعد الناس عن أن تضربهم

---

(١) ما بين القوسين من اللهجة العامية وتعني: الخوف من الحصار الاقتصادي.

أمريكا، هذه قضية تبدو غريبة، أليست غريبة؟ لماذا؟ لأن الأمريكيين يتبنون طريقة هم يريدون ألاّ يكشفوا أنفسهم عدوانيين للشعوب كمعتدين، يحتاجون إلى أن يعملوا مبررات من هذه، أليسوا يحتاجون إلى أن يعملوا أشياء؟ أنت تستطيع أن تكون بالشكل الذي لا يستطيع أن يعمل ضدك شيئاً مثلاً تهمة مُعيَّنة ستكون بالشكل الذي تكون هي غير مقبولة، هي غير مؤثرة، لا على جماعاتك، ولا على محيطك، لا تكون مقبولة.

فأنت تجد أنه في الوقت الذي تراه كبيراً أنه عنده ثغرات كبيرة تجعل تفكيره بالشكل الذي لا يستخدم تلك الحاجة الكبيرة ضدك، وأنت في الطريق تُعِدُّ كل ما حصل عندك مِن إمكانيات، تصنع، تحصل على أسلحة متطورة، اعمل كل ما باستطاعتك، اعمل كل ما بوسعك، هذا شيء لا بُد منه، لكن أن يقعد الواحد، يقعدوا ويقولوا: (نريد توازن، أي: أن يكون عندنا تكنولوجيا مثلما يوجد عند أمريكا نفسها، يكون عندنا من الأسلحة مثلما عند أمريكا نفسها)! هذا ليس مقياساً أساساً، لا واقعاً، ولا ضمن السُّنن الإلهية، ليس مقياساً؛ لأنه معلوم عند العرب الآن وهم يعرفون بأن لديهم سلاح النفط والمقاطعة الاقتصادية بالشكل الذي يوقف كل هذه القطع التي تحركها أمريكا.

لأن تكنولوجيا أمريكا التي نراها متطورة يترتب عليها التزامات مالية كبيرة، يكون أيُّ ضعف اقتصادي يؤثر عليها، يقولون حتى تحريك هذا السلاح النووي أنه مكلف جداً، تخزينه وإخراجه من داخل مخازنه، أي: الحركة حتى للذي يكون جاهزاً، مثل رؤوس، أو قطع، يقولون: بأنه هو مكلف جداً، ليست قضية سهلة، ليست مثل عندما تأتي تأخذ لك قذيفة من هذه القذائف الاعتيادية وتحمِّلها، يحتاج إلى أشياء يقولون مسألة التخزين وتجهيزه مكلفة جداً.

ثم تجد أنه بحاجة إلى المال في حركته هذه، والمال مصدره من عندك: كسوق استهلاكية، والنفط الذي أنت مهيمن عليه، فلاحظ من باب التوازن هذا، أليس العرب عندهم هذا السلاح (سلاح النفط، وسلاح المقاطعة الاقتصادية)؟ سيوقف أمريكا عن قراراتها هذه كلها؟ لم يتحرك الأمريكيون إلاّ بعدما حاولوا في العرب أن يعملوا اتفاقيات معهم أن النفط لا يُستخدم كسلاح، أولاً يجمدون سلاحنا هم! ولأن عندنا حكاماً من النوعية هذه: قابلين، مفرقين، الكثير منهم قد يكونون متواطئين مع الأمريكيين، لا يُستخدم النفط كسلاح! الأمريكي هو يشهد بأن النفط مؤثر عليه لو تحاول أن تستخدمه كسلاح، أولاً يوقف سلاحك، إذاً لاحِظ بأنه هو كان ينظر إليك بأن عندك سلاحاً أرقى مما عنده، سلاحاً يوقف سلاحه نهائياً، يُقعِده، بل قد يؤدي إلى انهياره هو كدولة، ككيان.

القرآن كل ما فيها (لكن) يبعدها نهائياً، ولا يترك للناس أيَّ عذر.

(...)

لماذا يحاولون أن يضغطوا على إيران وسوريا ولبنان من أجل حزب الله؟ أين الأقوى إيران وسوريا ولبنان أو حزب الله؟ في عتاد، في كل شيء، لماذا لا يضغطون على حزب الله من أول يوم؟ أليس باستطاعتهم أن يضربوا مناطق حزب الله بصواريخ من أوروبا وليس فقط من داخل البلاد العربية؟ من البحر الأحمر، من عند رؤوسهم من هنا، من البحر الأبيض من طرف لبنان أليس باستطاعتهم أن يضربوهم؟ تجد العرب معهم سلاح ثقيل، وطائرات، معهم سلاح ثقيل لكن حزب الله أثقل وليس معه دبابات ولا طائرات ولا صواريخ بعيدة المدى، أليس أثقل عليهم؟

إيقاف النفط يوقف أمريكا، ماسورة يوقفها فقط، يغلقها، ويصدِّره إلى بلدان أخرى، لكن لا يوجد عندهم إرادة، لا يوجد عندهم مسؤولية، لا يوجد عندهم اهتمام نهائياً!

هذا الدِّين يجعل الناس ينظرون إلى أمريكا نظرة احتقار إذا فهموا دين الله لن يكترثوا بأمريكا، لكن إذا لم يفهموا الدِّين ستكون أمريكا عندهم أكبر من الله، تجد الدولة الآن تخاف من أمريكا أكثر مما تخاف الله، يخافون منهم أكثر، لن يكون عنده اهتمام بالنسبة لك أن يتجه إليك، وقد عرف بأنك ربما تشكِّل حماية له، خاصة بعدما رأوا العراق انهار جيشه، وأنه لم يعد يثق بالجيش الذي داخلُه مخلخل، هذه حركة شعبية، انطلاقة دينية لا تكلف الدولة شيئاً، ولا تُحسَب عليها، يكونون بالشكل الذي يستطيعون أن يدافعوا عن دينهم، يدافعوا عن بلادهم.

فأيُّ دولة ـ المفروض أن هذا شيء طبيعي ـ أيُّ شخص، أيُّ مسؤول أصبح خائفاً هو لم يعد يرى منظمات دولية

يمكن أن تنفعه، لم يعد يرى الجامعة العربية يمكن أن تنفعه، لم يعد يرى جيشه يمكن أن ينفعه، أليس هذا عنده شيئاً طبيعياً أنه يمكن أن يرى عمل الناس بالشكل الذي يرضى عنه هو؟ عندما يقول الأمريكي: (يمتنع الناس) فيمكن أن تقول له: لا، إذا حاول الأمريكي أن يضغط عليك فقل: لم يرضوا، هم شعب فوضوي.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي بتاريخ: ١٨من ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠م
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١م	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٨م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٧ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٣ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ

قاطعوا البضائع الأمريكية و الإسرائيلية

الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام

الاسم : ....

المدرسة: ....

الله أكبر

الصف: ....

السنة الدراسية: ....

الموت لأمريكا

الأيـــام	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
السبت								
الأحد								
الإثنين								
الثلاثاء								
الأربعاء								
الخميس								

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود النصر للإسلام

الله أكبر

الموت لأمريكا

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود

النصر للإسلام